جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة

تخصص تاريخ حديث ومعاصر

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

بعنوان

تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة في القرن السادس عشر ميلادي (16م)

إعداد الطلبة :

- نوي عيسى
- طحطاح البشير
- حساني لخضر

إشراف الأستاذ:

علاق محمد

السنة الجامعية 2017- 2018

كلمة شكر و تقدير

بادي ذي بدء نحمد الله ربنا جل علاه على توفيقه إيانا في اختيار موضوع بحثنا وعلى إشراف أستاذنا علاق محمد الذ سدد خطانا و رافقنا طيلة هذه المدة ودفعنا إلى انجازبحث على وجه مقبول فله الحمد والثاء الحسن.وأننا شاكرين بصدق عميق كل من علمنا حرف من والدينا الكريمين حفظهما الله ورعاهم ونتقدم بالشكر الجزيل لكل أساتذتنا في مختلف أطوار التعليم وكل هؤلاء جديرون بالشكر و أخيرا نقول لكم والكل ملخص في تأدية واجبه اتجاه ربه عز وجل والناس أجمعين كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل أساتذة قسم التاريخ والذين لهم الفضل الكبير في إعداد الطلبة وتكوين الإطارات والى كل من ساهم في انجاز هذا البحث من قريب أو بعيد

كلمـــــــــة إهـــــــداء

إلى هؤلاء :

- إلى الأولياء الكرام
- إلى جميع الدكاترة والأساتذة في قسم التاريخ.
- إلى جميع الأصدقاء بدون تخصيص.

أهدي ثمرة جهدي .

قائمة المختصرات باللغة العربية

الرمز	الدلالة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
تق	تقديم
دت	دون تاريخ
ص	صفحة
صص	صفحات متتابعة
ط	طبعة
مج	مجلد
م	ميلادي
ق	القرن

قائمة المختصرات باللغة الفرنسية

الرمز	الدلالة
N	Numéro
P	Page

مقدمـــــــة

يعتبر التاريخ من أهم العصور لما يتضمنه من زخم معرفي خاصة فيما يتعلق منه بتاريخ الجزائر الذي كثر عنه الحديث و انقسمت بشأنه الآراء ، ونقصد بكلامنا هنا مسالة قيام الدولة الجزائرية الحديثة خلال القرن السادس عشر ميلادي (16 م) و السيادة عليها .

الأهمية العلمية للبحث

إن فائدة بحثنا هذا هو إثراء المكتبة ورفع اللبس عن هذه القضية التي هي محل جدال ونقاش وتوضيح للقارئ أهمية البحث لما يشوبه من شكوك حول الفترة التي تأسست فيها الدولة الجزائرية الحديثة و الجهود الرامية الى تكريس السيادة.

دوافع اختيار البحث

أما ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع والبحث فيه :

1 – إن القرن المذكور هو أول قرن في العصور الحديثة ، و أغناها بالأحداث الضخمة و التطورات الكبرى في الجزائر خاصة و المغرب الإسلامي عامة وكذا في أوروبا الغربية هذه الأخيرة التي كان بالنسبة لها قرن النهضة العلمية و الفنية و الأدبية ، والثورة الاقتصادية في الميدان التجاري و المالي و الحرفي و الصناعي وهو القرن الذي شهد قيام دول أروبية حديثة ، استطاعت أن تنشئ إمبراطوريات بما احتلته من مناطق كثيرة في العالم .

أما بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي فان ملامحه ومميزاته ومعالمه قد توفرت وارتسمت أساسا في القرن السادس عشر ميلادي (16م) ، ففيه سقطت دول تمتد إلى العصور الوسطى كالدولة الزيانية و المرينية و الحفصية و ظهرت دول امتدت إلى عصرنا الحالي كالدولة السعدية ثم العلوية التي تعتبر امتداد لها (الأشراف) و الدولة الجزائرية محل بحثنا هذا .

2- تضـارب الآراء واخـتلاف الأحكـام حـول مسـالة قيـام الدولـة الجزائريـة الحديثـة و السـيادة عليهـا فـي القـرن السـادس عشـر مـيلادي (16م) و التـي يمكـن تلخيصـها فـي ثلاثـة توجهـات ، إحـداها يقـول بـان الجزائـر كانـت تابعـة للدولـة العثمانيـة ، وان علاقتهـا بمركـز السـلطة تتميـز بالخضـوع و التبعيـة ، ممـا يجعلهـا فـي وضـع المسـتعمرة التركيـة بـدليل تحكـم الأقليـة التركيـة فـي مقاليـد الحكـم ، ورأي آخـر يـرى أن الجزائـر كانـت دولـة مسـتقلة ذات سـيادة ، وان الـروابط التـي كانـت تشـدها إلـى مركـز الخلافـة العثمانيـة هـي روابـط أدبيـة و دوافـع مصـلحيه ، وتوجـه ثالـث ليعـرب عـن رأيـه صـراحة ، فـان كـان يسـلم باسـتقلالية الجزائـر إلا انـه لا ينكـر مظـاهر الارتبـاط بـين الجزائـر و اسـطنبول ، ممـا يحـول دون الوصـول إلـى قناعـة تؤكـد الاسـتقلال أو تثبـت التبعية .

الإطار الزماني والمكاني للبحث

لقد تناولنا بحثنا هذا بدراسة حول الدولة الجزائرية بداية من العصر الحديث 1492 م إلى غاية 1587 م استكمال التأسيس

أهداف البحث

من جملة ما نريد التوصل إليه في موضوعنا هذا ما يلي :

- معرفـة الأوضـاع العامـة فـي بـلاد المغـرب الإسـلامي والتـي سـبقت احـتلال سـواحل الجزائر من طرف الغزو الاسباني
- دور الإخوة بربروس في تقوية الحصون الدفاعية للدفاع عن سواحل الجزائر
- معرفة المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضد الجزائر
- تعنت الدول المجاورة (الحفصية،المرينية) في بقاء الجزائر تحت سلطته
- إيضاح مسألة قيام الدولة الجزائرية واستقلال الجزائر بمؤسساتها

الإشكالية

ما هي المراحل التي مر بها تأسيس الدولة الجزائرية في القرن 16م ؟

الإشكاليات الفرعية : من جملة الطروحات التي تتعلق حول موضوعنا مفادها :

- ما هي أوضاع المغرب الإسلامي في بداية العصر الحديث ؟
- ما هي جهود الإخوة بربروس في الجزائر ؟
- ما مكانة الجزائر على الساحة الدولية عند بداية التأسيس ؟
- ما هي جهود العثمانيين الرامية لاستكمال التأسيس ؟

المنهج المتبع

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي السردي لتقصي الحقائق و الوصول إلى حقائق يقينية بعيدة عن الشوائب و الشبوهات التي تكتسي هذا الموضوع وجعلته محل جدال ونقاش .

تقديم الموضوع

وفيما يخص موضوعنا فقد حاولنا أن نسهم ولو بالقسط القليل من أجل رفع اللبس عن هذه القضية التي هي محل جدال ونقاش حسب ما توفر لنا بعد الجهد والوثائق للتأكيد بأن الدولة الجزائرية لم تظهر بعد الاستقلال الوطني 1962 م ولا بعد دخول الفرنسيين واحتلالهم 1830 م بل أن الدولة الجزائرية وما يحمله هذا المصطلح فإنه يعود إلى القرن السادس عشر ميلادي .

الدراسات السابقة

ومن بين من تكلموا في هذا الموضوع وتباينت آراؤهم نجد **غرامون Gramon** وهو من الذين كانت لهم مساهمة في الكتابات التاريخية المتعلقة بالجزائر العثمانية ، والذي يستنتج من دراسته للعهد العثماني " أن الأتراك كانوا يحتلون إيالة الجزائر و لم يكونوا قط يحكمونها " . وممن تبنوا مثل هذه الآراء نجد على سبيل المثال

عبـد الرحمـان بـن اشـنهو الـذي يـرى " أن الإدارة التركيـة حسـب تعبيـره " إدارة تعمـل لمـلء أكيـاس الخزينـة و جيـوب الأقليـة التركيـة الحاكمـة المسـيطرة ، ممـا جعـل ثـروة الـبلاد فـي مثـل هـذا الوضـع أشـبه بقطعـة حلـوى يأخـذ منهـا كـل موظـف مـا يخـول لـه منصبه ".

كـذلك نجـد مـن كتـب فـي هـذا الموضـوع و أبـدى رأيـه ، الأسـتاذ احمـد توفيـق المـدني الـذي رأى فـي الوجـود العثمـاني أسـاس تكـوين اللبنـات الأولـى لـدويلات محليـة وطنية ببلاد المغرب الإسلامي .

ويشـاطر الـرأي الأسـتاذ مولـود **نايـت بلقاسـم** الـذي يـرى " أن الـروابط الجزائريـة العثمانيـة مجـرد علاقـات تعـاون و مسـاعدة متبادلـة ضـمنت اسـتقلالية الجزائـر استقلالا تاما ، و سيادتها سيادة كاملة ".

الخطة المعتمدة

وقـد رأينـا مـن المناسـب معالجـة موضـوع تأسـيس الدولـة الجزائريـة الحديثـة فـي القـرن السـادس عشـر مـيلادي (16م) فـي أربعـة أبـواب ، خصصـنا الفصـل الأول للأوضـاع العامـة فـي بـلاد المغـرب الإسـلامي مطلـع القـرن السـادس عشـر مـيلادي (16م) ... وتناولنـا فـي الفصـل الثـاني اتصـال الإخـوة بربـروس بـالجزائر أمـا الفصـل الثالـث فتطرقنـا فيـه إلـى بدايـة التأسـيس للدولـة الجزائريـة الحديثـة فـي عهـد البايلربـاي خير الدين .

أمـا الفصـل الرابـع فتكلمنـا عـن التأسـيس و الـذي كـان علـى يـد خلافـة خيـر الـدين على الجزائر .

التعريف بأهم المصادر

وقـد اعتمـدنا فـي موضـوعنا علـى عـدة مصـادر ومراجـع رأينـا أنهـا مهمـة ونـذكر هنـا غـزوات عـروج وخيـر الـدين للمؤلـف المجهـول ، هـذا الكتـاب الـذي يـؤرخ لبدايـة الحكـم العثمـاني بـالجزائر الـذي تـم تعريبـه مـن اللغـة العثمانيـة إلـى العربيـة ، ونشـره **نـور**

الـدين عبـد القـادر بـالجزائر 1984 م . المـؤنس فـي أخبـار أفريقيـا وتـونس **لابـن أبـي دينـار القيروانـي** ، وإتحـاف أهـل الزمـان بأخبـار ملـوك تـونس وعهـد الأمـان **لأحمـد بـن أبي الضياف**

كـذلك فيمـا يخـص المصـادر الأوروبيـة اعتمـدنا علـى تـاريخ ملـوك الجزائـر **لهايـدوا** و الـذي قـام بترجمتـه إلـى الفرنسـية المـؤرخ **هنـري دو غرامـون** فـي جـزء واحـد ، وهـذا الكتـاب تنـاول فيـه مؤلفـه تـاريخ الجزائـر مـن خـلال تـراجم حكامـه فـي القـرن السـادس عشـر مـيلادي (16م) ، وهـو علـى غايـة مـن الأهميـة للباحـث فـي تـاريخ الجزائـر فـي القرن السادس عشر ميلادي (16م) .

وفـي صـنف الـرحلات اشـرنا الـى الكتـاب وصـف إفريقيـا الـذي ألفـه بالايطاليـة **الحسـن الـوزان** الأندلسـي الأصـل ، المغـرب الـدار ، المعـروف لـدى المغـربيين **بليـون الإفريقي** ، ونقل إلى عدة لغات و منها اللغة العربية .

كمـا كـان كتـاب الأسـتاذ الـدكتور **عمـار بـن خـروف** وعنوانـه العلاقـات السياسـية بـين الجزائـر و المغـرب فـي القـرن السـادس عشـر مـيلادي (16م) ، مهمـا جـدا وثريـا مـن حيث المعلومات التي يحتويها فيما يخص القرن المذكور .

زيادة على بعض المراجع التي أثرينا بها موضوعنا هذا مثل :

- الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا **لعزيز سامح ألتر**.
- تاريخ الجزائر العام **لعبد الرحمان الجيلالي** .
- حرب الثلاثمائة سنة **لأحمد توفيق المدني** .
- تاريخ الجزائر الثقافي (الجزء الأول) **لأبي القاسم سعد الله** .
- الجزائر منطلقات و آفاق **لناصر الدين سعيدوني** .

الصعوبات

ورغـم الصـعوبات التـي واجهتنـا وكانـت عائقـا أمـام التعمـق فـي البحـث فـي هـذا الموضـوع المهـم ونـذكر هنـا قلـة المصـادر والمراجـع المتخصصـة بالإضـافة إلـى اسـتغنائنا عـن بعضـها نظـرا لأراء أصـحابها والتـي تصـب فـي مجملهـا فـي اتجـاه نفـي مسألة السيادة الجزائرية قبل دخول الفرنسيين.

الفصـــــــل الأول

الأوضاع العامة في بلاد المغرب الإسلامي
في بداية العصر الحديث 1492 م/1512 م

1- ضعف الدويلات الثلاث

2- سقوط غرناطة 1492

3- الهجرة الأندلسية

4- الجهاد البحري

5- الغزو الإيبيري

إن الباحث في أوضاع المغرب الإسلامي وبالأخص في القرن السادس عشر ميلادي دخل في دوامة من الفوضى والضعف كادت أن تعصف به وفي هذا الفصل سنحاول أن نذكر ابرز ملامح هذه الأزمة .

1- ضعف الدويلات الثلاث

في الربع الأول من القرن الثالث عشر ميلادي بلغ ضعف دولة الموحدين[1] أقصاه لتسقط في 1269 م ، فيفقد المغرب الإسلامي وحدته السياسية ، ويتفكك إلى ثلاث دويلات . وهي الدولة الحفصية و عاصمتها تونس و الدولة الزيانية و عاصمتها تلمسان و الدولة المرينية و عاصمتها فاس وحاولت كل منها أن تفرض سيطرتها على حساب الأخرى فدخلت هذه الدول في صراع مرير فيما بينها،ووجدت الجزائر التي كانت تحت حكم الزيانيين نفسها بين شقي رحى أطماع الحفصيين في الشرق و المرينية في الغرب، كل منهم سعى إلى القضاء عليها و التوسع على حسابها فعانى منهم بنو زيان أكثر من غيرهم [2]. ثم جاء سقوط غرناطة 1492م ليزيد الأوضاع سوءا في هذه الأقطار فقد زادت حالة الضعف بسبب الافتتان على السلطة مما أدى إلى تفكك أقاليم كل دولة و انتشار الفوضى ، وصار المغرب الأوسط "فسيفساء سياسية يتعذر تحديدها "[3]. وفي خضم هذه الفوضى و الضعف ، انحصرت سلطة هذه الدويلات في عواصم بني حفص في مدينة تونس وبني مرين في فاس و بني عبد الواد في تلمسان و ما جاورها إلى ، أن افلت معظم المغرب الأوسط من قبضتهم و تمزقت إمارتهم بسبب منافسات الأسرة الحاكمة و دسائس البلاط و مؤامرات كبار الموظفين و تدخل الحفصيين في

---

[1]- الدولة الموحدية (1128- 1269) م : خلفت الدولة المرابطية حكم شمال إفريقيا و نصف اسبانيا.

الدولة الموحدية (1128- 1269) م : خلفت الدولة المرابطية حكم شمال إفريقيا و نصف اسبانيا .

[2]- العربي إسماعيل ، دولة بني حماد ، ملوك القلعة و بجاية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1980 ، ص 176 .

[3]- محمد خير فارس ، دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث ، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة 1979 ، ص 15 .

شؤونهم ، استقلت المناطق الواقعة بين مملكة عبد الواد و الممتلكات الحفصية و تجزأت بفعل الأحداث المحلية ، هذه الأحداث تمثلت في ضعف السلطات الزيانية و الحفصية و فوضى القبائل المحلية[1] ، مما أدى إلى اضطراب المغرب الأوسط و تجزئه إلى عدة وحدات سياسية صغيرة متنافرة لا يسود بينها الوئام ، فاغلب المدن الساحلية كوهران و تنس وشرشال و الجزائر و دلس و بجاية و جيجل و القل وغيرها كانت في مطلع القرن 16 م إما عن الدولة الحفصية كعبد الرحمن الحفصي في بجاية أو تحت حكم مجلس منتخب من سكان المدينة كوهران أو شيخ قبيلة كسالم التومي ، وشيخ قبيلة الثعالبة في مدينة الجزائر.[2]

وكانت كل المناطق الجبلية في الفترة نفسها مستقلة ، تأسست في بعضها إمارة ذات اصل مرابطي أو شريفي من أهمها إمارة بني عباس في جبال القبائل جنوب بجاية و إمارة كوكو[3] الواقعة إلى الغرب من الإمارة الأولى في الجبال نفسها ، و استقلت المدن الداخلية كذلك عنها تحت حكم الأسر كأسرة بني جلاب في تقرت و علاهم في ورقلة جنوبي الجزائر و غيرها .

وسادت القبائل على المناطق السهلية كبني عامر في القطاع الوهراني ، و الذواودة في القطاع القسنطيني .[4]

أن هذا التفكك و الفوضى لم تقتصر أثاره السلبية على الأوضاع السياسية فحسب بل تعدته إلى جميع الجوانب الحياتية ، فكان أن تأثرت الزراعة التي كانت

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر منطلقات و أفاق ، مقاربات الواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية ، دار الغرب الإسلامي . ص 48

[2] – عبد الرحمان ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6 ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، 1982 ، ص 256 .

[3]– كوكو: عزيز سامح ألتر .هو استحكام يقع في جرجرة يشبه مدينة صغيرة وهو ملك لقبيلة زواوة و تقع كوكو على استقامة تيزي وزو ، من كتاب الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ص 84.

[4]– عمار بن خروف ، العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي ، الجزء 1 ، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر 2006 ، ص 15.

تشكل النشاط الاقتصادي الرئيسي للسكان ، كذلك فقد تأثرت التجارة الداخلية و الخارجية بفعل سوء الحالة الأمنية التي اضطربت بين المدن ، وفي الطرق و الأسواق كما تأثرت بتعرض مراكز التجارة الهامة و لاسيما مع الخارج .

أما الصناعة فقد أصيبت هي الأخرى في الصميم بفعل التهديد ، مما جعل كثيرا من المراكز الحرفية تختفي أو تفقد أهميتها ، ورغم استقطاب الجزائر لكثير من التجار و الحرفيين و الفلاحين الأندلسيين الذين عززوا صفوف إخوانهم الجزائريين ذلك لم يؤدي إلى انتعاش ملحوظ في الاقتصاد الجزائري .

كما أن الوضع الاجتماعي قد عان من حالة التردي بفعل التجزؤ الداخلي الذي نجم عنه اضطراب الأمن وانعدام الاستقرار ، و الهجرة القسرية الكبيرة خاصة نحو المناطق

الداخلية بحثا عن الأمن و الاستقرار ، حيث كانت تلك الهجرة تتم في ظروف صعبة، فقد فيها أولئك المهاجرين منازلهم و أملاكهم ، زيادة على تعرض قطاع المدن الى التخريب و التقليص و فقدان الأهمية مما زاد في تقليص نسبة السكان الحضر المستقرين وزاد في نسبة سكان البدو الرحل على الرغم من استقبال المدن خاصة الساحلية لعدد كبير من الأندلسيين.

الوضع الاقتصادي المتردي الذي انعكس على الوضع الاجتماعي للسكان بحيث كثر الفقر، و انتشرت الأمراض في صفوفهم .[1]

[1] – عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 18 .

2- سقوط غرناطة 1492

يعود تاريخ المغرب الحديث في بلاد المغرب الإسلامي إلى 1492 م و هي السنة التي سقطت فيها غرناطة التي كانت آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس في أيدي المسيحيين و بذلك انتهى الحكم الإسلامي في شبه جزيرة إبيريا . ولقد جاء هذا السقوط بعد حصار دام أكثر من عشر سنوات ضربه الملكان الكاثوليكيان فرديناند[1] و إيزابيلا[2] بمساندة أوربا المسيحية من جنود ومال و سلاح وبعد الضريبة التي ضربها البابا على المسيحيين لتمويل الحرب الصليبية و مباركتها و إعطائها صبغة دينية محضة ، و انتهت هذه الحرب الصليبية باستسلام غرناطة بعد مقاومة شديدة للأسبان في الثاني من جانفي عام 1492 و خرج ملكها أبو عبد الله الصغير وكان أخر ملوك بني الأحمر يبكي و أمه عائشة تقول له :

" ابكي مثل النساء ملكا لم تدافع عنه كالرجال "[3] ، ساعدت الحرب الصليبية على ظهور الروح القومية في اسبانيا وكان رجال الدين الأسبان يغدون على الدوام نار التعصب الديني و قد اخذوا باضطهاد المسلمين بقسوة ولا سيما بعد سقوط غرناطة ، ونشير إلى أن محاكم التفتيش أو ديوان التحقيق هو الذي كان وراء هذا الاضطهاد .[4]

كانت وثيقة استسلام غرناطة تضمن للمسلمين احترام عاداتهم و ممتلكاتهم و قوانينهم وديانتهم وشيئا من الاستقلال الإداري الذاتي وقد احترم هذا العهد عدة سنين ، ولكن إيزابيلا الكاثوليكية و فرديناند الكاثوليكي خرقا المعاهدة بضغط من مستشارهما المتعصب الكاردينال خيمينيس الشهير الذي كان الحاكم الفعلي لاسبانيا

---

[1]- فرديناند الكاثوليكي : (1452-1516) ملك الاراغون ، صقلية وقشتالة ثم نابولي ، ابن فرديناند الأول ، تميز حكمه بالشدة كما أسس محاكم التفتيش 11480 لمحاكمة المسلمين .(دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر) ص34.

[2]- إيزابيلا : (1451 – 1504) ملكة قشتالة ورثت العرش بعد وفات أخيها و حصلت على لقب ملوك الكاثوليك بعد سقوط غرناطة (دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر) ص34.

[3]- جلال يحي ، تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص 05 .

[4]- محمد خير فارس ن مرجع سابق ، ص 13 .

و الذي سن قوانين ردعية في حق المسلمين لطردهم أو تحويلهم عن دينهم مما تسبب في ثروة المسلمين بمنطقة غرناطة ولقد سعى خيمينيس و أعوانه إلى إلقاء مسؤوليتها على عاتق مسلمي بلاد المغرب الذين كانوا يمدونهم بالأسلحة .[1]

ومما زاد الكاردينال خيمينيس [2] قوة و جرأة وصية الملكة إيزابيلا التي قالت فيها عند إقامتها الأخيرة في مدينة " ديل كانبو" في 24 نوفمبر 1504 قبل موتها اطلب من ابنتي الأميرة جين و الأمير زوجها فيليب أن يهتما بأمور الإيمان أي الدين المقدس و أن يشغلا بدون انقطاع لغزو إفريقيا و بمحاربة الكفار في سبيل الدين (تعني المسلمين) .[3]

3 – الهجرة الأندلسية

عرف المغرب ، الهجرة الأندلسية في القرون التي سبقت سقوط الإمارات العربية الإسلامية الأندلسية ، فالكثير من الأندلسيين هاجرو إلى فاس الإدريسية منذ القرن 9 م ،وكانت انتفاضة الربض ضد الأمير الحاكم في نفس الوقت و فشلها سببا في هجرة المنتفضين نحو بلاد المغرب .

التجار الأندلسيين هم الذين أسسوا مدينة وهران في القرن العاشر ميلادي 10 م ولكن هذه الهجرات المحدودة تحولت هجرات جماعية كبيرة لما استولى الأسبان على الإمارات العربية الإسلامية مثل طليطلة و قرطبة 1236 م واشبيلية و

[1] – محمد العربي الزبيري ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي ، الشركة الوطنية لنشر ، ط2 ، الجزائر 1985 ، ص 31 .

[2]– خيمينيس : هو فراي فرانسيسكو خيمينيس دي سينيروس يسميه العرب بابن الخميس ، كاردينال اسباني ولد 1436 ، كان مستشارا سياسيا للملكة إيزابيلا في 1507 ، كان مشرفا على محاكم التفتيش توفي في طليطلة 1517 .

[3]– عبد الحميد بن ابي زيان بن اشنهو ، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، دار الطباعة للجيش الشعبية ، الجزائر ، ص 14 .

سرقسطة و بلنسية وغيرها ، و اشتدت الحركة أكثر بعد سقوط غرناطة 1492 م وفشل انتفاضة جبال البشارات [1](1499م- 1502م) .

لقد خير الأسبان المسلمين المشاركين في الانتفاضة بين اعتناق المسيحية أو مغادرة البلاد ، فأهل الأندلس جغرافيا سكان اسبانيا الجنوبية وربما اصل الكلمة من الوندال . ولما غادر الأندلس في آخر القرن 15 مطرودين من ديارهم أو فارين من الاضطهاد سماهم الإسبان الموريسكيون ، أي العرب الصغار احتقارا و إهانة لهم وهم اشبيلية و قرطبة و غرناطة و مالقة و بلنسية و ضواحيها وغيرهم من سكان الجنوب الاسباني أي ما يقرب من نصف القطر و هو أخصبه و أرقاه .[2]

كانت المدن الجزائرية الساحلية كوهران ، شرشال ، الجزائر ، بجاية وغيرها تستقبل هؤلاء المهاجرين ، كما كانت تستقبلهم مدن أخرى داخلية مثل تلمسان و البليدة .

لقد نقل الأندلسيون الموريسكيون إلى الجزائر أشياء جديدة من العادات و الصناعات و الثقافة ، كما هو الشأن بالنسبة للموسيقى الأندلسية التي لازالت حية إلى اليوم .[3]

لقد بلغت الهجرة الأندلسية أوجها اثر قرارات الطرد الجماعية التي أصدرها الملك الاسباني فليب الثالث عام 1609 م ، حيث بلغ عدد الفارين سنة 1611 م وحدها حوالي 275 ألف مهاجر ، منهم من انتقل مباشرة إلى المغرب و منهم من فر عبر جبال البرانس و فرنسا .[4]

---

[1] – جبال البشارات : تقع جنوب غرب اسبانيا اختارها الأندلسيين للانتفاضة على السلطة الاسبانية التي اضطهدتهم في إطار محاكم التفتيش .

[2] – عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهو ، مرجع سابق ص 31 .

[3] – صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830) ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ص 19 .

[4] – صالح عباد ، المرجع نفسه ، ص 20.

4- الجهاد البحري

إن نشاط الجهاد البحري شجعه واسهم فيه مسلمو الأندلس المطرودون أو المهاجرون من اسبانيا و كان هؤلاء المهاجرين يحملون حقدهم على الإسبان و يقصون على إخوانهم في بلاد المغرب الإسلامي قصص الحروب والاضطهاد والغر و النهب و الاعتداء على حرمة المساجد و المقدسات فأثاروا عواطف مسلمي المغرب الإسلامي و طلبوا مساعدتهم لإنقاذ إخوانهم الذين حال فقرهم دون مغادرة اسبانيا كما كان الأمراء الأندلسيين الذين لجؤو إلى بلاطات المغرب و تلمسان و تونس ، كانوا يستصرخون حكام البلاد كل يوم ليمدوا يد المساعدة لإخوانهم مسلمي اسبانيا ، وبانتظار رد فعل قيام مغربي ضد اسبانيا بدا سكان موانئ بلاد المغرب الإسلامي يشنون حربا بحرية ضد السفن و الموانئ الصغيرة التي استوطن فيها المهاجرون سلحت سفن خفيفة كانت تقوم منفردة أو مجتمعة في أساطيل صغيرة بمهاجمة السفن التجارية و الموانئ الاسبانية التي أقفرت من سكانها ، و كان المسلمون الذين أجبرتهم ظروفهم على البقاء في اسبانيا واجبروا على تغيير دينهم يتصلون سرا برجال البحر المسلمين و يمدونهم بالمعلومات اللازمة ليقوموا بمهاجمتهم دون أن يتعرضوا للإخطار .[1]

وكان النصارى هم البادئون بالحروب البحرية فكانوا يسبون المسلمين ويأخذون الفيء ويسرقون الأسرى ويبيعونهم في أسواقهم ، ويفدونهم بأثمان باهظة أو يعمرون بهم سفنهم المجذافية والشراعية ويستعينون بهم في جوب البحار وفي اكتشاف الأراضي البعيدة على السواحل الإفريقية و الأسيوية حتى الصين .

[1] – محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 17 .

تلك الحروب التي أطلق عليها في القرن 15م اسم القرصنة [1] ما هي إلا ابتكار من طرف المسيحيين إنما بلغت أشدها في عهد الأتراك.[2]

لكن على الرغم من ارتباط الجهاد البحري باسم الأتراك فإنهم ليسوا هم الذين أوجدوه في المغرب الإسلامي بل كان سابقا على وجودهم في المنطقة ، وكل ما هناك أنهم نشطوه و نظموه ، وجعلوه من مهام الدولة .

وكان لتجربة الأوائل منهم ، و السلاح الناري الذي جاؤوا به دور كبير في تفعيلها .

لقد تطور الجهاد البحري في بلاد المغرب الإسلامي خاصة في القران 15م و غدى كل المدن الساحلية تمارسه من سواحل المحيط الأطلسي إلى جربه و أصبح هذا الجهاد اكبر مورد للموانئ المغربية حيث يقول المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان فيما يخص هذه الظاهرة " أقامت المراسي من جربه إلى المغرب الأقصى أنواعا من الجمهوريات أعدت العدة لممارسة القرصنة فسلحت تونس وبنزرت وبجاية ومدينة الجزائر ووهران وكل لحسابها سفنا شراعية تجوب البحر الأبيض المتوسط [3]، كما أشار الوزان عديد المرات لنشاط مدن المغرب الساحلية في ميدان القرصنة ، فيذكر أن سكان مدينة الجزائر لما انحازوا إلى ملك بجاية ...بعد ذلك سلحوا سفنا وتحولوا إلى قراصنة ، فصاروا يغيرون على جزر يابسة وميورقة و منورقة و حتى شواطئ اسبانيا ".[4]

---

[1]– القرصنة : (course) نوع من أنواع الحروب البحرية تقع بين الدول المتعادية و التي كانت الغاية منها ضرب اقتصاديات العدو بالاستيلاء على البضائع الصادرة و الواردة منه ، وأسر من يعمل فوق ظهر تلك السفن بها قوانين ونظم لا تجيد عنها الدولة ولا يحيد عنها القراصنة ،(دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، ابن اشنهو ،ص17.

[2] – عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهوا ، مرجع سابق ، ص 17 .

[3]– شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830 ، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة ، دار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1978 ، ص 322 .

[4]– الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، (ليون الإفريقي) ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي وحمد الأخضر ج2 ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1983 ، ص 38 .

5-الغزو الأيبيري

بعد ما تمكن الأيبيريون من إنهاء حروب الاسترداد وجهوا أنظارهم إلى سواحل بلاد المغرب الإسلامي حيث توجه البرتغاليون إلى سواحل المغرب الأقصى ، وأول نقطة احتلوها بالمغرب كان سبته 1415م ، وبعد اتفاقية طور ديسيلاس[1] 1492 م احتلوا مدينة ماسا في سنة 1497م ثم موقع مازكان في سنة 1502م و أغادير في سنة 1505م وموكادور 1506م و أسفي في سنة 1508م و أزمور 1513م وتطلعوا في سنة 1515 م إلى احتلال مدينة مراكش ولكن حملتهم باءت بالفشل كما باءت بالفشل حملتهم لاحتلال مواقع المعمورة المنفذ البحري لمدينة فاس في نفس السنة .

أما بالنسبة للأسبان فلم يبدأ الغزو إلا بعد سقوط غرناطة ولا ننسى وصية الملكة إيزابيلا الكاثوليكية "...إني ارجوا الأميرة ابنتي جين و الأمير زوجها فليب و أمرها بالطاعة وصايا أمنا المقدسة الكنيسة طاعة تامة وان يكون حماتها و المدافعين عنها حسب ما يقتضي واجبهما وإلا يكفا عن فتح افريقية و محاربة الكفار في سبيل الإيمان ..." [2]

ولما استكمل الأسبان وحدتهم في 1469م دخلوا في منافسة مع البرتغاليين بإقدامهم على احتلال منطقة عند وادي نون على الأطلسي وبنوا بها حصن سانتاكروز دوماربيكينا حيث بلغ الغزو الاسباني ذروته في العقدين الأولين من القرن 16م فيعد احتلالهم مدينة مليلة سنة 1497م قاموا باحتلال غساسة في سنة 1504م ثم احتلوا حجر بأديس في سنة 1508م وكلها تقع على المتوسط ، واتلوا مواقع عديدة على الشواطئ الجزائرية وهذا التجزؤ الذي آلت إليه الجزائر في مطلع القرن السادس عشر ميلادي و الذي شجع الأسبان الذين استكملوا وحدتهم السياسية

[1] – كور ديسيلاس : هي مدينة اسبانية عقدت فيها الاتفاقية بين الأسبان و البرتغال بمباركة البابا الذي قسم بين الدولتين مناطق نفوذ كل منها سنة 1494م كتاب دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، ابن اشنهوا ، ص 73.

[2] – محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص13.

وقاموا باحتلال أول موقع وهو المرسى الكبير سنة 1505 م وبعد سنتين حاول الإسبان التوغل في المناطق الداخلية فتوجهوا إلى ناحية مسرغين وتكبد الأسبان هزيمة نكراء جعلتهم ا يفكرون في التوغل ثانية في المناطق الداخلية ، بعد الهزيمة فكر خيمينيس في ضرورة الثأر ومواصلة مشروع الاحتلال،فكانت الحملة على مدينة وهران التي احتلها بيدرو نافاروا[1] navarro pedro 1509م ليتجه شرقا و يحتل في مطلع 1510م بجاية .[2]

ولقد عاث الجنود الإسبان فسادا ونقلوا جميع ما فيها من تحف و نفائس إلى اسبانيا في ثلاثون مركبة غرق معظمها في البحر كما هدموا منار قصر ألؤلؤ البالغ طوله سبعين ذراعا ، و على اثر ذلك بعث شيخ مدينة الجزائر سالم التومي وفدا إلى بجاية ليتفاوض مع بيدرو نافارو في شروط الاستسلام ، بعدها انطلق هذا القائد الإسباني إلى طرابلس الغرب احتل مدينة طرابلس في 02 جويلية 1510 م ولقد سارع عدد من حكام المدن الساحلية الأخرى إلى الخضوع إلى السيادة الاسبانية ودفع الجزية لها مثل تنس ، دلس ، شرشال ، مستغانم ففي مدينة الجزائر انتهت المفاوضات سابقة الذكر بإبرام معاهدة الاستسلام تعهدت فيه بالخضوع للنفوذ الاسباني و الإفراج عن الجميع الأسرى من النصارى ، ثم توجه وفدا جزائريا أخر إلى اسبانيا ليعلن الولاء للملك فرديناند الكاثوليكي وقبل الوفد تسليم إحدى الجزر وهي عبارة عن الصخرة كبيرة بخليج مدينة الجزائر تبعد عن اليابسة ب 300م وقد شيد الأسبان على هذه الصخرة حصنا يسمى البنيون[3] pegnon وقووه بحامية

---

[1]– بيدرو نافاروا : بحار مغامر أصله من بيسكاي جلبه الملكان الكاثوليكيان و استملاه لتوسعهما ، كان أول والي على وهران لعب هذا الأمير دورا هما في احتلال الشواطئ الجزائرية وتونس وطرابلس ، يقال انه القي عليه القبض من طرف شارل الخامس وشنقه على مقيل في 1529م (دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر) ص63.

[2]– محمد العربي الزبيرس ، مرجع سابق ص25 .

[3]– البنيون : هو اسم القلعة التي أنشاها بيدرو نافارو الاسباني فوق وسط الصخور أو اقل الجزر العظيمة الواقعة بثغر مدينة الجزائر .

وبسلاح المدفعية ، أصبح شوكة في جنب الجزائر لان هذا البنيون يعتبر رمز الاضطهاد الاسباني المتسلط على سكان الجزائر .

وهكذا فان الإسبان إلى جانب ذلك و بنزولهم ببعض المراكز البحرية في المغرب الأقصى واحتلالهم لتونس نفسها ، قد استكملوا الاستياء على ساحل بلاد المغرب الإسلامي منتهكين في ذلك حرمة أهل هذه الثغور الإسلامية .

غير مبالين بمقدساتهم الدينية ولا محترمين أو مراعين لما جبلت عليها الكرامة الإنسانية وطبعت عليه البشرية من الحياء و الحشمة مندفعين عن سوء نية وراء حروبهم الصليبية وأعمالهم الاستعمارية و أغراضهم الساقطة ...[1]

ولا يبدوا أن السرعة التي تمكن بها الأسبان من فرض سيطرتهم على الشواطئ الجزائرية و السهولة التي احتلوا بها بعضها تعود فقط إلى التفكك الذي كانت تعاني منه الجزائر خاصة في مطلع القرن 16م ولكنها تعود فقط إلى التفكك الذي كانت تعاني منه الجزائر خاصة في مطلع القرن 16م ولكنها تعود أيضا إلى التطور السلاح لدى الأسبان بمقارنته مع سلاح الجزائريين ووسائل دفاعهم ، إذا بينما كان هؤلاء يحاربون كما يقول (بروديل) كرفاق عقبة بالسيف و الرمح وما إلى ذلك ، كان الأسبان يحاربون بالسلاح الناري والمدفعية .[2] لهذا فان الأسبان عند غزوهم سواحل بلاد المغرب الإسلامي لم يتعرضوا إلا لكوارث نقص المئونة ومفاجآت الجبال والليل و الفوضى التي تعقب الغزوات الناجحة ولقد وصف فرديناند زافرا كاتب الملكين الكاثوليكيين الاسبانيين ، الذي كف منذ 1492م بمراقبة عبور الأندلسيين إلى المغرب ، الوضعية التي كان يعيشها المغرب الإسلامي سنة 1492م بقوله "إن البلاد كلها في حالة ، بحيث يبدوا أن الرب يريد أن يهبها لصاحبي الجلالة وحث الملكين الإسبانيين على اغتنام الفرصة واحتلال المغرب .

---

[1]– عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج3 ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، ص 14 .

[2] – عمار بن خروف مرجع سابق ، ص 26.

تلك كانت باختصار ملامح الأزمة المتعددة الجوانب التي كان يعيشها المغرب الإسلامي ويعاني منها ، قبل بروز العثمانيين في الحوض الغربي المتوسط وشروعهم مع الجزائريين في إخراج البلاد من المحنة التي كانت فيها. [1]

[1] – صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 26.

الفصل الثـــــاني

قدوم الإخوة بربروس إلى الجزائر

1- بداية أعمال الإخوة بربروس في الجزائر

2- استنجاد مدينة الجزائر بعروج ورد الحملة الإسبانية

3- أعمال عروج في الغرب الجزائري ونهايتها

4- خير الدين يخلف عروج على الجزائر

5- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

كما أسلفنا الذكر ، فقد شهدت الجزائر خلال العقد الأول من القرن السادس عشر احتلال أهم مدنها الساحلية ، غير ان العقد الموالي يعتبر رد فعل ، ويتجلى ذلك في ظهور بدايات التصدي و محاولات التحرير بداية من بجاية بقيادة البحار عروج وإخوانه ، وبتضافر جهودهم وجهود المجاهدين الجزائريين لتتواصل عملية التحرير ، وبداية تكون نواة الدولة الجزائرية الحديثة .

1- بداية أعمال الإخوة بربروس[1] في الجزائر

انتهى أمر المسلمين بالأندلس كما هو معلوم في القرن 15م وأصبح أمر البلاد بيد الايبريين النصارى فصدوا الثغور على من بقي من المسلمين و اخذوا يذيقونهم من العذاب ألوانا .

ولقد اشتد الأمر على المسلمين في ذلك بل تتبع الإسلام والمسلمين بدافع الحقد الديني و الصليبي ، حيث اخذ هذا العدو الغاشم بمهاجمة سواحل بلاد المغرب الإسلامي مخربا وناهبا ومختطفا لكل ما يظفر به من الأموال والأرزاق وأضحت بعض الأماكن من سواحل المغرب الإسلامي موطنا لعصابات من قراصنة الدول الأوربية على اختلافها [2]، وفي الوقت الذي كان الايبريون يغزون شواطئها مطلع القرن 16م كانت طلائع غزاة البحر الثمانيين ، والمتمثلة في الإخوة بربروس ، عروج وخير الدين وإسحاق وفي آخرين قد وصلت الحوض الغربي للمتوسط ، قادمة من شرقه فجأة[3] وربما كان سبب هذا الانتقال مضايقة السلطات العثمانية وضعف التجارة المسيحية في تلك المنطقة بعد أن سقطت أكثر المراكز

[1]- الإخوة بربروس : كان أبوهم يعقوب جنديا عثمانيا من جنود حامية جزيرة ميدلي المتوسطية العثمانية ، اشتغل عروج في البداية بالتجارة ، ثم تحول إلى الغزو البحري . كما عمل مع أخيه خير الدين في خدمة السلطان يزيد ، قبل انتقالهما إلى الحوض الغربي ، حرب ثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا .

[2]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، نفس المرجع ، ص 36.

[3]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 24

كالبندقية والجنوبية في يد العثمانيين مما دفع الإخوة وغيرهم من العثمانيين إلى البحث عن مسرح أخر لنشاهم .

وبدت سواحل بلاد المغرب الإسلامي حيث الفوضى في الداخل و حيث تمر كل تجارة المتوسط .[1]

وقد عقد عروج اتفاقا مع السلطان الحفصي [2] محمد بن الحسن يقضي بمنح هذا الحاكم جزيرة جربة للإخوة بربروس ليتخذوا منها قاعدة بحرية لأسطولهم مقابل منحهم له خمس الغنائم وسمى عروج نفسه قائد الجزيرة ، ويقول في ذلك صاحب غزوات عروج وخير الدين أن عروج قد وصل إلى جزيرة جربة ناحية المغرب حيث ألقاه الريح ة بعد أن سافر ناحية بلاد النصارى حيث غنم وسبى منهم سببا كثيرا دخل إلى المدينة تونس ووجه إلى سلطانه هدايا وغنائم نفيسة وقعت منه أحسن موقع فاستأذنه عروج بان يقيم ببعض مراسي بلده فكان من جملة ما اشترط عليه السلطان خمس الغنائم التي تتحصل بيده من الكفار فرضي عروج بذلك .[3]

حصل عروج على سمعة عظيمة بفضل جرأته و نقله عددا من الأندلسيين الكثر إلى بلاد المغرب الإسلامي فكثر أتباعه وزاد أسطوله من سفينتين إلى حوالي 12 سفينة سنة 1510 بفضل الغنائم الكثيرة التي حصل عليها من غاراته.

لفت عروج بجرأته وقوة أسطوله أنظار سكان الموانئ الجزائرية المحتلة أو المهددة فأخبار عروج وخير الدين قد شاعت وذاعت وملأت أقطار البلاد المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس وأصبحنا في المدينة حلق الوادي يمثلان قوة إسلامية عظيمة تتوجه نحوها الأنظار .

---

[1]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص24 .

[2]– السلطان الحفصي : محمد بن الحسن (1526–1494)

[3]– المجهول ، غزوات عروج و خير الدين ، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1934 ، ص 13.

جاءت نكبة بجاية وهي أول المناطق الخاضعة للاحتلال الاسباني ، حيث بعث حاكم بجاية وعلمائها وأعيانها إليهما بطلب المساعدة ووعد عروج بمنحه بعض المكافئات وجعله سيدا على المدينة .

ووضع ميناء المدينة الواسع تحت خدمة سفنه ، فلبى عروج النداء وذهب إليها مع جماعة من قواته في محاولات عديدة من اجل تحريرها .[1]

انطلق الأخوان في اتجاه المدينة على راس خمس سفن تحمل على متنها عددا من المدافع وأسلحة أخرى وألف مقاتل عثماني وعربي من بلاد المغرب الإسلامي .[2]

وعندما اقتربت السفن من المدينة ظهر أسطول اسباني يتألف من15 سفينة كانت راسية في ميناء المدية ، تحركت تريد اعتراض السفن الاسبانية ، ولما اقترب عروج من السفن بادرها بإطلاق القذائف المدفعية في الوقت الذي كان أعداؤهم مشغولين بشحن مدافعهم بالبارود ،فكانت فعالية مدفعية عروج كبيرة تسببت في إرباك أعدائهم بل إلى إغراق إحدى سفنهم واسر اثنين بينما فرت السفن الباقية مسرعة نحو الميناء ، تم إرسال السفينتين المحجوزتين إلى تونس بعد الانتهاء من تلك المعركة كان عروج يرى ضرورة ضرب العدو عن طريق إنزال جزء من قوته إلى البر و محاصرة المدينة بالتعاون مع أهلها ، فنزل إلى البحر مع خير الدين ومعهم 50 رجل ، وبعض المدافع فاعترضوا طريق القوات الاسبانية تماثل عدد قواته ،[3] لكنه استطاع تجاوزها وتقدم نحو أسوار المدينة ثم باشر في قصف الحصينات الاسبانية وكذا القلعة ، واستمرت لمدة 08 أيام تمكن من أحداث بها فتحة في جدارها[4] وبادر الأسبان من جهتهم بإطلاق النار عليهم وعندما كانت

---

[1]– بيطام سامية ، محمد مرابط سهام ، الحملات الاسبانية و الايطالية على الجزائر خلال القرنين االسادس عشر و الرابع عشر ، رسالة ليسانس ، معهد التاريخ الجزائر 2004–2005

[2] – Haedo (f.Diego de) , histoire des rois d alger , trad . Francoise de h , Degrammont , Alger 1881 , p 47.

[3] – مصدر مجهول ، مصدر سابق ، ص 17.

[4] – مصدر نفسه ، ص 69.

القلعة على وشك السقوط أصابت إحدى القذائف الذراع الأيسر لعروج إلى تونس قصد العلاج .

ولما تبين أن العلاج ذراعه ميئوس منها تم بترها وهكذا لم يتمكن عروج هذه المرة من تحرير بجاية غير أن الحملة هي بمثابة محاولة استطلاعية لمعرفة طريقة التحصينات .[1]

بعد هجوم عروج الفاشل على بجاية ، أسرعت حامية جيجل فطلبت الدعم الذي تولى أمره أندري دوريا [2]و الذي كان يعمل حينها في خدمة فرنسا فأسرع بقيادة أسطوله ودخل جيجل واشتبك مع أهلها المسلمين في معركة وحشية فأخرجهم منها ودعم حاميتها الجنوبية لتمارس دورها التجاري الذي كان لها قبل، وعاد أهل جيجل المشردون فاستنجدوا بعروج وأعلنوا له استعدادهم بدعمه بكل ما يستطيعونه ، وتم الاتفاق على موقع الهجوم ومضى المجاهدون في استعدادهم وقاد عروج قواته البحرية ومعه إخوانه حتى إذا وصل جيجل بدا هجومه على الفور ، وتم إنزال القوات البحرية وتامين الاتصالات مع مجموعة المجاهدين من أهالي جيجل بصورة خاصة وبعد معركة عنيفة استطاع المسلمون اقتحام المدينة وإبادة حاميتها ورجع أهل البلدة إلى ديارهم وشاركوا بقية المسلمين قسمة الغنائم التي كانت بالمركز التجاري وذلك سنة 1514م [3]، وهكذا تمكن عروج من تحقيق هدف مزدوج استطاع طرد أعداء الدين من بلدة مسلمة وهي أول بلدة ينقذها على الساحل البلاد التي أصبحت فيما بعد بلاد الجزائر وحصل على قاعدة صلبة ومؤونة بحرية و برية

[1] –Haedo , opcit , p19.

[2]– أندري دوريا : أصله من جنوة وهو اكبر أميرال بعد خير الدين في القرن السادس عشر ميلادي ، كان يملك أسطولا في خدمة الملوك الذين يقدمون له المال و الولد ولد سنة 1466م و توفي 1560م ،دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر ، ابن اشنهوا ، ص 54.

[3]– دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع ، مادة جيجل ، ص 202 .

يمكن له الانطلاق منها لتطوير أعماله القتالية وهكذا استقر عروج بجيجل بدعم من أهلها و التصميم على مواصلة المسعى من تلك القاعدة في سبيل تحرير بجاية[1] .

واتخذ عروج جيجل قاعدة له بدلا من جربة بسبب خلاف مع السلطان الحفصي الذي امتنع عن إمداد عروج بالبارود أثناء حصار بجاية ، وكان معظم سكان جيجل يمارسون الجهاد البحري .[2]

كان سكان جيجل و الجبال المحيطة بها و البعض من قبائل كتامة قد التفوا حول عروج وراو من إيمانه وأخلاقه ومن قوة شخصيته ما جعلهم يبايعونه ويعاهدونه على السير وراءه في جهاده .

نهض عروج إلى بجاية في شهر أوت 1514م يقود جيشا مؤلفا من عشرين ألف من المجاهدين ، وأحاط بمدينة بجاية و اشتبك مع حاميتها في معارك قاسية شديدة ، وكان في نفس الوقت يوالي دراسة الموقع ويحاول اكتشاف نقطة الضعف فيه ، وبعد محاولات دامت زهاء ثلاثة اشهر فشل مرة أخرى في اقتحام الحصن[3] فسوء الأحوال الجوية ووصول أسطول اسباني و بدء موسم البذر ورجوع القبائل إلى حقولهم تاركين ميدان المعركة ، وكل ذلك دفع عروجا إلى فك الحصار من جديد[4] فرجع وجيشه إلى مركزه بمدينة جيجل خلال شهر نوفمبر لكي يقضي فيه فصل الشتاء ويعيد ترتيب جيشه وتزويده .

بعد ذلك تحرك عروج في ربيع سنة 1515م لتنفيذ محاولته الثالثة من اجل تحرير بجلية وكان مما ساعده في ذلك وقوف قبائل أهل المنطقة أمير قلعة بني عباس عبد العزيز الحفصي واحمد بن القاضي الذي كان قاضيا على بجاية .[5]

---

[1]– احمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 166.

[2]– احمد بن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج2 تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية و الأخبار، الشركة الوطنية و التوزيع ، تونس 1963 ، ص 10.

[3]– احمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 168.

[4]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 26.

[5] – محمد مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ج2، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر 1964 ، 37.

وفي سنة 1515م جهز عروج أسطولا يتكون من اثنتا عشر سفينة وجيش بري سار بموازاة الساحل في اتجاه المدينة المحتلة . ولما بلغت القوات البحرية مشارف المدينة تم الإنزال عند مصب الصومام الذي كانت مياهه غزيرة خلال ذلك الفصل من السنة كما تم إنزال مدفعية على البر وهكذا بدا الحصار .[1] وفي أوت توجهت القوات إلى محاصرة قلعة التي كانت تحت قيادة دي فيانتيرا حيث تمكنت من تهديم أسوارها وبذلك فتحت الطريق أمام رجال القوات البرية وسكان المناطق المجاورة من التغلغل داخل القلعة و الاستيلاء عليها ، مما اجبر أفراد الحامية على الفرار إلى داخل المدينة [2]، ثم وجه عروج قصفه نحو قلعة أخرى كان الكونت بيدرو نافارو وقد أعاد تشييدها بالقرب من البحر واستطاعت قوات عروج من اسر خمسة مائة شخص دون القتلى و الجرحى ، استمر ذلك الحصار لمدة 24 يوم[3] ، ونظرا لطول مدة الحصار نفذت الذخائر وبدا الأخوان في التراجع بعد أن كادوا يشرفون على فتحها ، وتمكن الأسبان من جهتهم من إصابة مائتي رجل من رجال عروج الذي لم يتمكن من فتح بجاية هذه المرة كذلك .[4]

2- استنجاد مدينة الجزائر بعروج ورد الحملة الاسبانية

و كما أسلفنا فان مدينة الجزائر ومنذ استسلامها للأسبان سنة 1510م أضحت مضطربة بسبب الانقسامات التي حصلت بين سكتنها بخصوص تلك الضريبة التي كانت تدفعها للأسبان فالشيخ سالم التومي وحاشيته كانوا متمسكين بتطبيق المعاهدة الموقعة مع الأسبان ، في حين كان أعيان المدينة يرون عكس ذلك.[5]

---

[1]- عزيز سامح ألتر ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمود علي عامر دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص48.

[2] -Haedo , opcit, p50.

[3]- عزيز صالح ألتر ، مرجع سابق ، ص 48.

[4] - Haedo , opcit p19

[5]- صالح عباد ، مرجع سابق ، ص46

أيد احمد بن القاضي رأي الأهالي وشجعهم على ذلك واخبرهم بان سلامتهم لن تصان إلا بتدخل آل بربروس وذلك من اجل طرد الأسبان من القلعة الصخرية التي غرست كالشوكة في أعناق الجزائريين .[1]

وفي سنة 1516 م خلق موت فرديناند ملك اسبانيا موقفا جديدا في المغرب الأوسط ، فقد خلفه ملك شاب نمساوي فلامينـدي يحيط به الفلامنديون ، ليس له شعبية في اسبانيا وكان المسلمون في اسبانيا على اطلاع على موقف الملك الجديد فاعلموا إخوانهم في بلاد المغرب الإسلامي عن الأزمة الحالية .[2]

اضطرب وضع المراكز الاسبانية وبدا سكان الموانئ الخاضعة للنفوذ الاسباني يفكرون بان الفرصة قد حانت للتحرر من النفوذ الاسباني ، بما فيهم سكان مدينة الجزائر حيث عمت الفرحة في المدينة و اعتبر سكانها المعاهدة ماتت مع وفاة الملك الذي فرضها .[3]

كان وجود الاسبان في القلعة الصغيرة المواجهة للجزائر يحول دون جهاد أهلها في البحر ، كما كان يحول دون استقبال السفن الإسلامية وكان هذا يؤثر تأثيرا مدمرا في المدينة فسارع أهل مدينة الجزائر وفي مقدمتهم الشيخ سالم التومي إلى الاستنجاد بعروج ليحررهم من هذه القلعة .[4]

لبى عروج الدعوة ، لأنه وجدها فرصة لا تعوض للسيطرة على مدينة الجزائر و الأهم بكثير من جيجل الصغيرة سواء من حيث عدد سكانها أو من حيث أنها كانت مدينة جهاد أو من حيث موقعها الذي يتوسط سواحل المغرب .

[1]– عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص50.

[2]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص25.

[3]– صالح عباد ، مرجع سابق ص 46.

[4]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 25.

واصفا إياها الوزان بقوله " هي كبيرة جدا تضم نحو أربعة آلاف كانون ، أسوارها رائعة ومتينة جدا مبنية بالحجر الضخم فيها دور جميلة و أسواق منسقة كما يجب لكل حرفة مكانها الخاص ، وفيها عدد كبير من الحمامات و الفنادق ".[1]

في سنة 1516 م أرسل عروج في اتجاه مدينة الجزائر 16 قطعة بحرية من قطعة و قطع أصدقائه الذين التحقوا به في جيجل ، تحمل حوالي خمسمائة عثماني بينما سار هو برا رفقة ثمانمائة عثماني و ثلاثة آلاف رجل من جبال جيجل التحق به في الطريق حوالي ألف رجل ،[2] فوصل عروج أولا ولحق به خير الدين الذي كان قد أبحر على ظهر عمارته المؤلفة من 18 سفينة من نوع قاليرة و 3 سفن من نوع بركنتي تحمل ألف وخمسمائة من العثمانيين .[3]

لما وصل عروج مدينة الجزائر وجد في استقباله سالم التومي رفقة أعيان المدينة ، لكن عروج فضل أن يتجه إلى شرشال أولا وقبل الدخول إلى المدينة حتى يتمكن من اخذ الأولى من قرصان أخر اسمه قارة حسن[4] ، كان قد سيطر عليها ، دخل شرشال برا وبحرا ، فبايعه سكانها الأندلسيون الذين كانوا قد هاجروا إليها من غرناطة و بلنسية و ارغونة بعد أن أقام عروج حاميته في المدينة تتكون من حوالي مئة جندي ، سار نحو مدينة الجزائر دون تأخر .[5]

استقبل عروج في مدينة الجزائر بحفاوة بالغة من طرف الأعيان و السكان ووعدوه بالوقوف إلى جانبه ، أرسل عروج خبرا إلى قائد الحامية الاسبانية يطلب منه الانسحاب من قلعة البنيون و تسليمها إياه فرفض قائد القلعة وكان عروج يدرك

---

[1]– الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، مصدر سابق ،ص 37.

[2] –Haedo , opcit p55.

[3]– احمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص174.

[4]– قارة الحسن : كلمة تركية معناه الأسود وهو احد القباطنة المنشقين عن عروج وقد اختلفت الآراء عن مقتله .

[5] – Haedo , opcit p56.

ذلك جيدا لكنه أراد تخويف الاسبان وإظهار قوته اتجاه الأهالي الذين ينتظرون منه إنقاذهم من هذه الحراسة البغيضة وتلبية لرغبة الجميع

باشر بقصف القلعة ، استمر القصف لمدة عشرين يوما بدون انقطاع ، وبما أن مدافعه كانت ضعيفة لذا فان القصف لم يترك أي اثر على جدار القلعة .[1]

ولان عروجا فشل في احتال القلعة المنيعة زال في نظر أهل المدينة مبرر وجوده بينهم بعد أن ثقلت عليهم وطأة جنوده الذين بدوا يتصرفون وكأنهم في بلد محتل وبدأت المؤامرات تحاك ضده لطرده واشترك فيها سالم التومي وأهل المدينة والأسبان ،[2] لكن عروجا كشف المؤامرة وتمكن من اغتيال سالم التومي غلية في الحمام بعد أن استمال إليه العديد من أعيان المدينة بالهدايا وغير ذلك .[3]

وأعلن نفسه حاكما على الجزائر ، بينما نجح ابن سالم التومي يحي في الفرار إلى وهران عند الاسبان خوفا على نفسه من أن يقتل مثل أبيه ، فوجهه والي وهران الماركي كوماريس إلى اسبانيا حيث التقى بالكاردينال خيمينيس الذي وعده بإعطائه النجدة ورده إلى عرش أبيه ، وكان خيمينيس آنذاك وصيا على عرش اسبانيا[4] في صغر سن شارل الخامس .[5]

واحتياطا لردود فعل الاسبان وغيرهم قام عروج بإجراء التحصينات الأزمة لمدينة الجزائر ، وتوسيع نفوذه ليشمل المنطقة المجاورة للمدينة وسلك في هذه الأثناء سياسة جمع فيها بين الشدة والين و الترغيب و الترهيب ، لتوطيد حكمه وجعله مقبولا بين الأهالي ، وتمكن عروج من إحباط مؤامرة حاكها ضده بعض أهالي

---

[1]– عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 51–52.

[2]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 25–26.

[3]– ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي و الجغرافي للغر الإسلامي ، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بدون بلد 1999، ص297.

[4]– عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهو ، مرجع سابق ، ص 69–70 .

[5]– شارل الخامس : تولى الحكم بعد الملك فرديناند الذي توفي 1516 م و أصبح شارل بعد 1519 م على راس اكبر إمبراطورية في العالم فقضى عهده في محاربة أعدائه إلى سنة 1526م ثم تخلى عن المسؤولية العظمى في 1556م ، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، ابن اشنهوا ، ص148.

المدينة مع عرب المنطقة المجاورة عرب متيجة الموالين لسالم التومي وأذعن سكانها .[1]

لما اشتد غيض الاسبان وعدم ارتياحهم للوضع الجديد في المدينة جهز الكاردينال خيمينيس حملة ضد مدينة الجزائر ووضع على رأسها قائدا من أهم رجال الحرب الذين بين يديه هو diego de verra وذلك للقضاء على خطر عروج قبل استفحاله وإعادة الإمارة إلى ابن سالم التومي يحي .[2]

كانت الحملة متكونة من 35 سفينة تحمل 15 ألف جندي ، توجهت إلى محاصرة الجزائر بمساعدة القوة الأهلية المتحالفة معهم والمكونة من العرب و البربر و الاسبان الموجودين في الجزائر،أرسلت سفن الحملة الاسبانية بناحية باب الوادي غربي العاصمة وذلك في اليوم الثالث من رمضان أواخر سبتمبر 1516 م وما كانت جنود الحملة تتصل بالأرض حتى فاجأهم الأهالي ومعهم الحامية العثمانية و مهاجروا الأندلس فقضوا عليها وكان ذلك في يوم عاصف حيث اشتدت الزوابع في البحر ، فاضطربت سفن الاسبان وتقاذفتها الأمواج الهوجاء فتحطم أكثرها وصل عدد قتلى الاسبان نحو 3000 قتيل و 400 أسير ،[3] وتجنبا من تعرضهم جميعا للإبادة اجبروا على الفرار مخلفين حمولة 12 ألف جمل من الغنائم .[4]

وساعد هذا الانتصار الباهر الذي حققه عروج وجماعته بالتعاون أيضا مع سكان المدينة و عرب المنطقة المجاورة ، على استقرار الأمر لحكام الجزائر الجديد وعلى مد نفوذه إلى مدن أخرى ساحلية و داخلية في مقاطعة الجزائر وخارجها كدلس ، و المدية ، وملیانة .... الخ.[5]

---

[1]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 21.

[2]– حمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 180.

[3]– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص40–41.

[4]– عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص55.

[5]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص21.

3- أعمال عروج في الغرب الجزائري و نهايته

توجهت أنظار عروج قبل القيام بمحاولة أخرى لتحرير مدينة الجزائر من الحصن الاسباني المواجه لها إلى القضاء على الحكام الموالين للأسبان كسلطان تنس وملك تلمسان ،كان حميدة العبد سلطان تنس يعد هجوما كبيرا على عروج للتخلص منه بالتنسيق مع عرب المناطق الغربية لمدينة الجزائر الذين لم ينسجموا مع الحكم الجديد الذي فرض سيطرته عليهم بالقوة والزمهم بدف الضرائب ، فاستخلف عروج على مدينة الجزائر ، أخاه خير الدين وتحرك هو على راس 1000 من العثمانيين و 500 من الأندلسيين نحو تنس وتمكن من الانتصار على قوات حميدة العبد التي كانت كبيرة في المعركة التي جرت بين الطرفين على مقربة من نهر الشلف في صيف 1517 م ، وذلك بفضل السلاح الناري الذي كان بحوزة قواته و الذي لا مثيل له لدى قوات سلطان تنس ، فاضطر حميدة العبد الفرار الى قاعدة ملكة ولم وجد نفسه ملاحقا فر منها إلى أقصى الجنوب الجزائري فدخلها عروج و أخضعها إلى سلطته [1]و بعد أيام من الراحة في تنس استقبل عروج وفدا من تلمسان يطلب منه دعمه لإعادة الملك الشرعي أبو زيان الذي اخذ منه عمه أبو حمو الثالث السلطة إلى عرشه.[2]

رغب عروج في استغلال ضعف السلطة الزيانية فاستغل المنازعات الأسرية ونقمة أهل تلمسان على السلطان أبو حمو الثالث لخضوعه للنفوذ الاسباني ، فقرر عروج احتلال تلمسان بحجة إنقاذها من النفوذ الاسباني وفي طريقه تضخم جيشه بعدد من المتطوعين الناقمين على أبو حمو الثالث ، وتمكن بهذا الكم من الجيوش المتطوعين من تحقيق النصر على أبي حمو الثالث في المعركة التي دارت بين

[1]– مرجع نفسه ، ص22.

[2] –Haedo, opcit p61– 62.

الطرفين في سهل أغبال و من الدخول إلى تلمسان في سبتمبر 1517 م واستحوذ على ملك الزيانيين . [1]

أما أبو ففر إلى فاس ثم إلى وهران ومن هذه الأخيرة توجه إلى بلاط ملك اسبانيا شارل الخامس لطلب عونه وكان قد أقام وهو في طريقه إلى تلمسان حامية في قلعة بني راشد التي تتوسط الطريق بين تلمسان ومدينة الجزائر لتامين خط الرجعة إلى هذه الأخيرة ووصول الإمدادات إليه منها أو من الجزائر ، اسند قيادة تلك الحامية إلى أخيه إسحاق ، وسعى وهو في تلمسان إلى إقامة تحالف دفاعي وهجومي مع السلطان فاس محمد البرتغالي الوطاسي ضد النصارى ، العدو المشترك فرحب هذا الأخير بالعرض ووافق عليه .[2]

شعر الاسبان بالخطر فوجهوا حملة بقيادة دون مارتن نجحت في قطع الطريق بين تلمسان و الجزائر وقتلت إسحاق أخ عروج في قلعة بني راشد ، ثم توجه المركيز دو كوماريس حاكم وهران على راس حملة نحو تلمسان يساعده الزيانيين وحاصر عروجا في تلمسان ، صمم عروج على المقاومة أملا فيما يبدو بنجدة من فاس ولكن أهالي تلمسان ثاروا ضده واجبروه على اللجوء إلى قلعة المشور[3] ، هرب عروج من تلمسان مع حفنة من جنده ونجح في اختراق صفوف الاسبان سرا نحو الساحل حيث كان يأمل في وصول سفن أخيه خير الدين وحمل معه كنوز آل زيان ، ولما علم الاسبان بهربه أرسلوا قوة لمطاردته وقد حاول عروج تأخير المطاردين بنثره كنوز آل زيان على الطريق ، ولكن الاسبان لحقوا به وتمكنوا بعد معركة عنيفة من القضاء عليه وعلى رفاقه في ماي 1518 م قرب مقطع وادي المالح

---

[1]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص26.

[2]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص22.

[3]– قلعة المنشور : من الآثار القديمة بتلمسان و المشور هو قصر بني 540هـ وسكنه ولاة الدولة الموحدين وبعده ملوك بني زيان ، سمي بهذا الاسم لأنهم كانوا ينصبون فيه ديوان وزر أنهم وبقيت منه بقايا إلى اليوم تدل على عظمته ، جنوب هذه المدينة .إتحاف أهل الزمان ص 25.

[1]– محمد خير فارس ، مرجع سابق.

كان عمره 45 عام في بني يزناس، وأعاد الاسبان الملك في تلمسان إلى أبي حمو الثالث ، الذي قبل أن يدفع ضريبة سنوية لهم ، مقدارها اثنا عشر ألف دوكات ذهبية ، واثنا عشر من الخيل وستة من إناث الصقور علامة على التبعية .[1] وهكذا وبمقتل عروج وأخيه إسحاق والقوات التي كانت معهما تعرض الوجود العثماني في الجزائر اله هزة قوية كادت تقضي عليه ، وتقلصت من جديد أرجاء الدولة التي اخذ عروج في إنشائها ، وهذا بعودة أبي حمو إلى مملكة تلمسان وحميدة العبد إلى تنس .[2]

4- خير الدين يخلف عروج على الجزائر

بعد كارثة تلمسان ومقتل عروج آل الأمر إلى أخيه خير الدين الذي خلفه في مدينة الجزائر ، الذي استطاع التغلب على الصعوبات التي كانت تواجهه ، كما استطاع التحكم في الوضع القائم بالغرب الجزائري واستعد لمهاجمة خطر الحملة الاسبانية المحتملة على مدينة الجزائر .[3]

وكما توقع خير الدين فان الإمبراطور شارل الخامس كان قد عزم على تحطيم مدينة الجزائر من البر في الوقت الذي تقوم فيه القوات الاسبانية بإنزال بحري .

أبحر الأسطول من جزيرة صقلية في صيف 1518م وكان على راس هذه الحملة نائب ملك صقلية hugo de koncade، توجه نحو المرسى الكبير واخذ جندا وعتادا ، ثم سار باتجاه بجاية فانضمت إليه قوة ضخمة وصلت الحملة إلى مدينة الجزائر 17 اوت 1518م وبدا النزول بشاطئ باب الواد حيث تموقع هيغو دومنكاد مع حوالي 1500 رجل .[4] وهنا اخذوا في ضرب المدينة بالمدافع ، وبعد يومين من المعركة ظهر العياء و الإنهاك على

[1]– محمد خير فارس ، مرجع سابق.

[2] – بالحميسي مولاي ، نهاية جولة بني زيان ، الأصالة ، وزارة التعليم و الشؤون الدينية ، العدد 26، 1975، ص32 – 33.

[3] – مصدر مجهول ، مصدر سابق ، ص 35–36.

[4] – صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 49 – 50.

القوات الاسبانية فبدأت بالتراجع و الانسحاب ، هنا شكل خير الدين فرقة من خمسمائة من جنوده وأمرهم بحرق أرزاق وممتلكات الاسبان الموجودة على الساحل ، وبانسحاب جزء من قوات الاسبان من مواقعهم ما أحدث خللا وإرباكا في صفوفهم زيادة على انهيار معنوياتهم .

استغل خير الدين الوضع وهجم على المواقع التي كانوا يحتلونها وغدى الاسبان محاصرين برا وبحرا فمات منهم عدد كبير و تمكن الباقون من بلوغ الساحل .[1]

ولم يتمكن الاسبان من ركوب جميع سفنهم بسب العاصفة البحرية التي هبت آنذاك ، إذ تحطمت حوالي 26 سفينة نتيجة اصطدامها باليابسة ، وغرق 4000 شخص ،[2] كما اسر ما يزيد عن 3 آلاف مقاتل اسباني وعدد كبير من القادة تراوح بين 30-36 شخص ، ولم ينجو منهم إلا القليل ، أما الجزائريون فقد غنموا كل ما كان على متن السفن الإسبانية .[3]

5- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية

عزم خير الدين في أعقاب النصر الذي حققه على الرحيل إلى إقليم الروم وترك مدينة الجزائر للجزائريين ومن ينتخبونه منهم ، وجمع أهل الجزائر و أعيانها وعلمائها و صلحائها ومشايخها ليخبرهم بعزمه ،[4] فأبى عليه مجلس الأعيان ذلك وأعلن تعلقه الشديد به وبرهن على ولائه و إخلاصه بإظهار رغبته ورضاه فيما يقترحه واشترط عليهم خير الدين ،[5] وفي جملة ما قالو له (خير الدين) " أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراغك ولا نسمح لك بذلك فان الله تعالى قد نصرنا بك على

[1]- عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 70.

[2]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص48.

[3]- عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 78.

[4]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 23.

[5]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 46.

العدو ... وانه يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها و الدفاع عن ضعفاء أهلها و لا يحق لك تركهم عرضة للعدو الكافر... "[1]

فأجابهم خير الدين بأنه بقي منفردا بلا معين من إخوته ومما قاله ما يلي " وقد رأيتم ما فعله بنا صاحب تلمسان من بني زيان واستعانته علينا بغير أهل ملتنا حتى كفانا الله أمره ، وصاحب تونس الحفصي لا رأي له في نصرنا وإعانتنا وأسلمنا العدو بمنع البارود لو لا لطف الله ، فالرأي أن نصل أيدينا بالقوة الإسلامية فهو السلطان سليم العثماني ونعتمد عليه في حماية هذه المدينة ، ولا يكون ذلك إلا بيعته و الدخول في طاعته بالدعاء له على المنابر وكتبوا بذلك للسلطان سليم العثماني رسالة و بعثوا له من السكة المضروبة باسمه في الجزائر [2]، وكتبوا كما أمرهم خير الدين رسالة على لسانهم إلى حضرة السلطان العثماني المذكور يخبرونه بصرف طاعتهم إليه ، وأنهم من جملة ما تنفذ فيهم إحكامه ، ويقع فيهم [3]نقضه وجاءت هذه الرسالة بتاريخ أوائل نوفمبر 1519م كما كتب خير الدين كتابا أخر إلى السلطان ،[4] كان هذا الغرض مفاجأة سارة للسلطان سليم الذي يبدوا انه كان يخطط أصلا لبسط نفوذه على كامل بلاد المغرب الإسلامي و الحوض الغربي للمتوسط ، فقد نسب إليه قوله لأحد كتمه سره "... إن البحر الأبيض المتوسط هو عبارة عن خليج واحد يمتد إلى بوغار ، سبتة فكيف يليق أن تجتمع فيه مدن مختلفة ثم أنهم لا يكونون تحت حكم الدولة العلية ، فعدم الاجتهاد في بلوغ هذه الغاية المقصودة هـ من قصور الهمة الموزري بشأن الدولة ... إني آليت على

---

[1]– المجهول ، مصدر سابق ، ص41.

[2]– احمد بن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ص 11.

[3]– عبد الجليل التميمي ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519، المجلة التاريخية المغربية العدد 6، تونس ، جويلية 1976، ص 118.

[4]– مصدر مجهول ، مصدر سابق ، ص 42.

نفسي وعاهدتها إن مد الله في عمري أني أحرمها الراحة و السكون ، ما لم أنشأ الأساطيل الكافية لنيل المرغوب ، وأستولي على ثغور البحر الأبيض المتوسط ..."

ولذلك لم يتردد في قبوله اقتراحات الوفد الجزائري وسارع بمنح خير الدين لقب بيلرباي وهو من أعظم ألقاب الدولة ولم يكن يتمتع به حينذاك سوى ثمانية أشخاص في الدولة العثمانية ،[1] كما أمده بمساعدة عسكرية كان في أمس الحاجة إليها ، حيث أرسل إليه أول دفعة من الجيش الإنكشاري قوامها ألفين جندي[2] مزودين بالمدفعية وخوله حق تجنيد متطوعين مع منحهم امتيازات الإنكشارية وهكذا تلقى خير الدين أربعة آلاف جندي من المشرق تألف منهم أوجاق الجزائر . [3]

[1]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، 30.

[2]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 23.

[3]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 31.

الفـصل الثـــالث

بداية تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة

1- مؤامرة أحمد بن القاضي

2- عودة خير الدين إلى الجزائر وجهوده فيها

3- دور الجزائر في السياسة الدولية

4- انتصار الجزائر على شارلكان 1541 م

5- توطيد حسن آغا لسلطة الدولة العثمانية

بداية التأسيس :

غدت مدينة الجزائر منذ أواخر سنة 1519 م تابعة للدولة العثمانية دون ان تتجشم هذه الأخيرة على غزوها ، كما حدث بالنسبة لبلاد الشام ومصر ، وغدا خير الدين حاكما تابعا للسلطان العثماني ، إلا انه كان في واقع الأمر يتمتع بسلطات واسعة في الجزائر ، لا تقل عن سلطات الملوك ، وان لم يكن رسميا إلا بايلربايا[1] وهو اللقب الذي حمله الحكام العظام في الجزائر في الفترة الممتدة 1519م-1587 م والتي تعرف بعهد البيلربايات ، وقد كان هؤلاء يعينون لفترة غير محدودة بزمن ، وغالبا ما كانوا يستدعون لاستلام منصب أعلى هو منصب وزير البحرية العثمانية .[2]

1- مؤامرة احمد بن القاضي

لقد كان التحاق الجزائر بالباب العالي باعثا قويا في اضطراب بلاط بني زيان بتلمسان وبني حفص بتونس ، و الوطاسين أيضا بالمغرب الأقصى وذلك خشية امتداد القوي العثمانية على كامل المغرب الإسلامي ، فاجتهد الحفصيون و الزيانيون يومئذ على على قطع العلائق بين الجزائر واسطنبول وسعوا في إيقاد الفتن والثورات ضد السلطة العثمانية ، وأنفقت في ذلك أموال طائلة ، وفيهم من إستجاش بالإسبان وملوك المغرب الأقصى .[3]

كان السلطان الحفصي أبو عبد الله يعتبر أن مدينة الجزائر تخصه ، وكان يعتبر عروج وخير الدين من أتباعه المنشقين ، ويرغب في استغلال موت عروج لاسترجاع الجزائر .

---

[1]- بايلرباي : أمير الأمراء ،حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا ، ص 126.

[2]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 25.

[3]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص47.

وقد اتفق سرا مع أحمد أبن القاضي سلطان كوكو على التعاون ضد خير الدين وكان ابن القاضي يرغب كذلك في التخلص منه.

وعندما توجه الحفصيون نحو الجزائر سار خير الدين لموجهتهم على رأس قوة من العثمانيين ورجال ابن القاضي الذين كانوا ينتظرون الوقت المناسب للانقلاب ضد خير الدين، وهكذا وجد خير الذين نفسه محصورا بين ناريين، وحاقت به الهزيمة ونجا قليل من أعوانه من المجزرة،واضطرا بعد إن رأى طريق الجزائر مقطوعا أمامه إلى اللجوء إلى جيجل حيث دعا سفنه إلى اللحاق بيه مع كنوزه وهو يعلم إستياء سكان المدينة والمناطق المجاورة ، وأغار رجال إبن القاضي على سهل متيجة ونهبوه ، واحتلوا مدينة الجزائر ، وثارت تنس وشرشال في الوقت نفسه 1520م.[1]

كما ذكرنا فإن خير الدين آثر الإلتجاء إلى مدينة جيجل والإقامة فيها خاصة ، أمام تقلص نفوذه في الجهة الشرقية وتدبدب سلطان تلمسان في ولائه وعدم اطمئنانه على نفسه في الجزائر وعلى القوات العثمانية القليلة التي بقيت معه فيها ، وانشغال السلطان العثماني سليمان القانوني الذي خلف والده سليم الأول 1520م، عنه بحروبه البحرية والبرية في الحوض الشرقي المتوسط وفي أوربا الشرقية .[2]

[1] – محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 32.

[2] – Haedo , optic , p37.

وقد كانت مدينة جيجل كما رأينا أول مدينة استقر فيها الإخوة بربروس، وكان أهلها أثبتوا ولائهم له، ومكث فيها بضع سنوات ظل فيها على اتصال ببعض أعيان مدينة الجزائر التي خضعت بعد رحيله عنها لابن القاضي، وقد قام خلالها بربط علاقات وطيدة مع أمير بني العباس منطقة القبائل الشرقية، المنافس لإبن القاضي ومد نفوذه إلى مدينة القل الساحلية الصغيرة ثم إلى مدينة قسنطينة وعنابة في فترة 1520-1522م وبذلك قلص نفوذ السلطان الحفصي في الشرق الجزائري إلى حد كبير ولو إلى حين، لأن الأمر لم ينتسب إليه تماما فيه بعد عودته منه. كما قام خلال إقامته بجيجل بتنشيط الغزو البحري ومواصلة الجهاد البحري ونقل أعداد من مسلمي الأندلس إلى الشواطئ الجزائرية.[1]

2- عودة خير الدين الى الجزائر وجهوده فيها

لما مات السلطان الحفصي أبو عبدالله في سنة 1526 م زحف خير الدين إلى مدينة الجزائر التى وعدوه أهلها بالمساعدة والتسهيل الدخول إليها وذلك ما تم فعلا فخاض صراعا عنيفا ضد ابن القاضي[2] وذلك في معركة المشهورة بوادي قدورة، حيث انه خلال ساعات قليلة من القتال انهزم احمد ابن القاضي منسحبا إلى ممر في جيجل بني عائشة ووجد بين قوات ابن القاضي عساكر سلطان كوكو ممن انضموا إلى قوات خير الدين وقدر عددهم 1800 مقاتل مسلح بالبنادق، فازدادت قوة خير الدين بانضمامهم إليه واعلم عساكر احمد ابن القاضي تمردهم عليه، فقطعوا رأسه، وقدموه إلى خير الدين, بعدما عبروا عن أنفسهم وندمهم لخيانته واقسموا على مساندته والوقوف بجانبه، ولكسب صفة اليولداشية لاحقوا حليف ابن القاضي قرة حسن الملقب بحسن الأسود الذي هرب الى شرشال عقب الهزيمة التي لحقت به، فوافق خير الدين على ملاحقته إلى شرشال، والقي عليه القبض هناك

[1]- المجهول ، مصدر سابق ، ص 17 - 28.

[2]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 26.

وقتله، وبمقتل قرة حسن لم يبقى حاجة للحرب، لان أبواب مدينة الجزائر وطرقها مفتوحة أمامه فدخلها معززا مكرما سنة 1525. [1]

ويقول المؤرخ الأستاذ "س بوليفة" في كتابه "جرجرة عبر التاريخ" "ودخل خير الدين مدينة الجزائر، وقد روى أن أهل المدينة قد احتفلوا برجوعه أيما احتفال ذلك أن دخول خير الدين المدينة كان بمثابة تحرير لها.

فالسياسة الجافة القاسية التي عامل بها ابن القاضي مدينة الجزائر على طريقته الجبلية الغليظة قد أوغرت ضده قلوب أهل الجزائر منذ عهد طويل".[2]

وحقق خير الدين بعد دخوله الجزائر انتصارات واسعة فقد لاحق أعداءه وضربهم بشدة ووطد الأمن والإستقرار و اخضع المدينة للنظام، فخاف قائد قلعة البنيون من نشاط خير الدين ولكي لا تداهمه عاصفة خير الدين فجأة, طلب من دولته تزويده بالمعدات والأسلحة ولكن دولته لم تصغي إلى طلباته، وكان وجود الاسبان في قلعة البنيون يشكل خطرا كبيرا ومباشرا على مدينة الجزائر، لان الجزائريين كانوا يعتبرون وجودهم في هذه القلعة إهانة كبيرة لهم، إضافة إلى ذلك فان السفن الجزائرية كانت تواجه مصاعب عدة في الذهاب والإياب .[3]

[1]– عزيز سامح التر ، مرجع سابق ، ص 84– 85.

[2]– احمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 214 .

[3]– عزيز سامح التر ، مرجع سابق ، ص 86.

تفرغ خير الدين بعد القضاء على المناوئين له وإخضاع القبائل المتمردة للقضاء على الحصن الإسباني، الذي كان يخنق مدينة الجزائر ويتحكم في الدخول إلى مينائها، ففي صبيحة يوم الجمعة 21 ماي 1529م حاصر حصن صخرة البنيون، وكان به نحو 500 رجل من الحامية الاسبانية تحت قيادة مارتان دي فارقاس martin de vergas ، و اخذت قنابل مدافع خير الدين تنزل على حصن صخرة البنيون ابتداءا من الساعة الأولى لصباح ذلك اليوم إلى ساعة الزوال فهدمت جانبا من الحصن، وقتلت عددا كبيرا من جنود الإسبان، ولم يبقى من بين ذلك العدد الا نحو 25 جنديا اسروا في الأخير، اما مارتان فقد قتل هو كذلك، وقيل كانت نهايته النار، اما الحصن فدك عن آخره، وبنى بصخوره خير الدين رصيفا للربط بين الجزر الأربعة القديمة والمدينة، ومن ذلك سمي برصيف خير الدين إلى يومنا هذا، وتابع خير الدين بناء الميناء القديم لمدينة الجزائر التي كانت تهتز فرائس الأوروبيين وقيل انه أتم بناؤه في ظرف ثلاث سنوات ونقل إليه الصخور وهي آثار مدينة روسغينية Rusguniae الرومانية في منطقة تامنفوست القديمة التي كانت في الضفة الشرقية لخليج مدينة الجزائر على اكتاف العبيد والأسرى المسحيين، فبنى الأميرالية فوق تلك الصخور الأربعة التي ضمها لبعضها البعض، وعندئذ سمى العثمانيون هذه المدينة بمدينة الجزائر نسبة لتلك الجزر الأربعة التي بنى فوقها الأميرالية كما أسلفنا الذكر، وجعلوها عاصمة لدولة جديدة سموها بنفس الاسم وهو الجزائر.[1]

وفي هذه السنة استدعى السلطان العثماني سليمان القانوني خير الدين، إليه واسند له القيادة الأسطول العثماني وفوض له الأمر في دار الصناعة، وقبل توجهه إلى اسطنبول استخلف على الجزائر حسن أغا[2] ، وشرع منذ وصوله إلى اسطنبول في

---

[1]– عبد القادر حليمي ، مدينة الجزائر نشاتها و تطورها قبل 1830م ، المطبعة العربية ، ط1 ، الجزائر 1972 ، ص 160.

[2]– حسن آغا : أصله من سردينيا ، وقع في قبضة رياس البحر الجزائريين وهو صغير ، فنشأ في حاشية خير الدين وبقي في خدمته ، فلاحظ فيه خير الدين خصالا حميدة فقربه ، إلى أن عينه خليفة له وهو في السادسة و الخمسين من العمر .

إعـادة تنظـيم الأسـطول العثمـاني وقيـادة العمليـات البحريـة ضـد اعـداء الدولـة العثمانيـة وفـي مقـدمتهم البنادقـة والإسـبان، فحقـق انتصـارات هامـة بهـذه الانتصـارات عـلا شـان خير الدين وازداد نفوذه، وارتفعت مكانته في الباب العالي وأصبح صوته مسموعا.[1]

كانـت اولـى اعمـال خيـر الـدين بـارزة بعـد اسـتلامه قيـادة الاسـطول العثمـاني هـي الأقـدم علـى ضـم تـونس الـى الدولـة العثمانيـة فـي 1534 م، تمهيـدا لبسـط السـيادة العثمانية على كل المغرب الاسلامي .[2]

وذلـك انـه كـان لتـونس أهميـة كبيـرة فـي تـأمين المواصـلات بـين الحوضـين الغربـي و الشـرقي للمتوسـط، وبـين مقـر الدولـة العثمانيـة وبـلاد الجزائـر، إذ تـتحكم فـي مضـيق بينهـا وبـين صـقلية، وكـان لتـونس أهميـة أخـرى فـي توطيـد الحكـم العثمـاني فـي الجزائـر بـل وفـي كـل المغـرب الإسـلامي ، وقـد أدرك خيـر الـدين أهميتهـا لاسـيما بعـد ان عـان في مؤامرات سلطان تونس منذ كان بايلربايا في الجزائر.[3]

اسـتغل خيـر الـدين جملـة مـن العوامـل المسـاعدة للقيـام بحملـة علـى مدينـة تـونس لمـد نفـوذ الدولـة العثمانيـة اليهـا و إدخالهـا تحـت لوائهـا، ومـن تلـك العوامـل المسـاعدة أولا ميـل الـبلاد التونسـية منـذ أواخـر عهـد السـلطان محمـد الحفصـي ولاسـيما بعـد وفاتـه إلـى التجـزؤ و الإنقسـام ، كـذلك النـزاع الـذي قـام بـين الأخـوين الرشـيد والحسـن إبنـي محمـد الحفصـي علـى الملـك فـي أعقـاب وفـاة والـدهما ذلـك النـزاع الـذي دفـع بالرشـيد إلـى الإلتجـاء الـى الجزائـر لطلـب مسـاعدة خيـر الـدين لـه علـى اخـذ حقـه مـن أخيـه الحسـن الـذي كـان أصـغر منـه، مسـتغلا كراهيـة السـكان للسـلطان الحسـن لإسـاءته السيرة فيهم، أضـف إلـى ذلـك دعـوة بعـض أعيـان تـونس وأهلهـا الرشـيد ووعـدهم لـه بـأن يمكـنهم مـن مدينـة تـونس وبـلاد التونسـية، ولعلـى أهـم مـا شـجع خيـر الـدين فـي حملتـه

[1]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 28.

[2]– مصدر مجهول ، مصدر سابق ، ص 88 – 89.

[3] – Haedo , opcit , p46.

وجوده على رأس الأسطول العثماني منذ سنة 1533 م ، وموافقة السلطان العثماني له بالقيام بحملة ضخمة على تونس في الصيف 1534م.[1]

وقد تمكن خير الدين من دخول إلى مدينة تونس في ذلك الصيف بسهولة، وذلك أولا لأن الحسن الحفصي قدر أنه لا قبل له بمواجهة الحملة العثمانية، ففر منها وذهب يسعى للحصول على عون القبائل التونسية، وكذا عون الإسبان، وثانيا لأن أهالي تونس كانوا يضنون أن الحملة العثمانية جاءت كما أشيع إعانة للرشيد، ونصرة له على أخيه الحسن، فلم يبدو أي مقاومة بل رحبوا به [2]، ولكن إعلان خير الدين ضم تونس إلى الدولة العثمانية وعدم تمكين الرشيد من الحكم فيها، وعدم إحضاره أصلا معه خيب أملهم فحمل بعضهم السلاح ضدهم وحدث بينهم وبين قواته مقتلة عظيمة، مات فيها خلق كثير قبل أن يتمكن خير الدين من تهدئتهم.

إلا أن الأمر لم يستتب له في تونس، أولا لأن بعض التونسيين تواطئوا مع الحسن على العودة خفية الى المدينة وقيادة المقاومة فيها ضده، وثانيا لأن خير الدين نجح في هزم الحسن وأنصاره في تونس، وفي هزم جموعه بعد ذلك في القيروان، ولم يتمكن من القضاء نهائيا عليه، وثالثا لأن الحسن الذي مال الى طلب مساعدة الإسبان له وجد لديهم التجاوب المرغوب، لأن وجود خير الدين في تونس، وضمه لها الى الدولة العثمانية قد أزعجهم كثيرا، فحملوا معه على خير الدين فيها وبذلك أصبح الصراع دوليا على تونس.[3]

---

[1]– مصدر مجهول ، مصدر سابق ، ص 92.

[2]– ابن ابي دينار القيرواني ، المؤنس في اخبار افريقيا و تونس ، تح، محمد شمامو ، تونس 1967 ، ص 163 ، 164.

[3]– عمار بن خروف ، نظرة على العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي (مجلة الدراسات الانسانية) العدد الاول ، الجزائر 2001 ، ص 83-84 .

3- دور الجزائر في السياسة الدولية

مع تقليد خير الدين للأسطول العثماني، أصبحت الدولة الجزائرية تتمتع بنفوذ دولي وسمعة واسعة في البحر الأبيض المتوسط هذا ما دفع فرانسو الأول ملك فرنسا إلى الإسرار في طلب صداقة الدولة العثمانية ضد عدوه شارل الخامس.

هذا الصراع الذي لم يلبث أن نشب فيه شبه جزيرة ايطاليا عند أواخر القرن الخامس عشر ميلادي بين مملكة فرنسا من جهة وبعض المماليك الإيطالية مدعمة من طرف مملكة إسبانيا على عهد فرديناند الكاثوليكي من جهة أخرى، أين تحول الى صراع شمل منظمة غرب أوروبا برمتها، عندما تربع شارل الأول ملك اسبانيا على عرش إمبراطورية الرومانية المقدسة تحت إسم شارل الخامس، وهو الصراع الذي أشتهر في تاريخ أوروبا بإسم الحروب الإيطالية التي اتخذت شكل صراع مرير بين بيتين ملكين كبيرين: بيت الهالسبورغ النمساوي والفالوا الفرنسي من أجل الهيمنة على المدن والأقاليم الإيطالية.

ولما كان ميزان القوى بين الفرقين غير متكافئ في فترة من فترات هذا الصراع الطويل، وأشرفت فرنسا على خطر شديد هدد وجودها كدولة ، لم تجد من خيار سوى مد يدها الى دولة قوية عدوة الهابسبورغ وهي الدولة العثمانية.[1]

بدأت فرنسا في الدخول في مفاوضات مع الدولة العثمانية بعد معركة بافيا، فيفري 1525م أين منى فرانسوا الأول بهزيمة نكراء التحق به القوات الامبراطورية[2] واقتيد إلى مدينة مدريد وسجن بها، وفي أثناء وجود ملك فرانسوا في الأول الأسر،

---

[1]- جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619 – 1830) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1987 ، ص 32 .

[2]- علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و اسباب السقوط ، دار الايمان للطبع و النشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ص 186.

دارت مباحثات بين أمه الملكة لويزا سفوا والدة فرانسو الأول، والوصية على العرش الفرنسي، وبين السلطان العثماني سليمان القانوني .[1]

وأرسلت مبعوثها حول فرانجيباني ومعه خطاب منها وخطاب من الملك الأسير يطلبان فيهما مهاجمة قوات عائلة الهابسبورغ وإطلاق سراح الأسير.[2]

هذا الأخير الذي أجبر شارل الخامس على التوقيع على معاهدة مجحفة، تخلى بمقتضاه على كل الادعاءات الفرنسية في شبه جزيرة إيطاليا كما تنازل عن أراض واسعة تقع ضمن الحدود الفرنسية نفسها من بينها دوقية برجنديا، ولقد اطلق سراحه بعد أن ترك والديه رهينة عند الاسبان لضمان تنفيذ بنود معاهدة مدريد.[3]

في هذه الظروف القائمة بالنسبة لفرنسا, أمام القوة الجزائرية المتنامية في غربي الحوض الأبيض المتوسط، خاصة وان البيلرباي خير الدين اصبح على راس القوة الاسلامية العثمانية،،لم تجد فرنسا بدا من التودد لدى الباب العالي وطلب المساعدة، فظهر التحالف الفرنسي العثماني على مسرح السياسة الدولية.

لقد قام بهذه المبادرة البلاط الفرنسي اثناء اسر الملك في مدريد وبإيحاء منه، اين اوفد الفرنسيون مبعوثا الى البلاط العثماني يطلبون النجدة والمساعدة ، وقد اجابهم السلطان على طلبهم وطمأن الملك الفرنسي ، بأن ما تعرض له ما هو إلا محنة عابرة ً فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر، فان ابائي الكرام وأجدادي العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من الحرب لأجل فتح البلاد ورد العدو ، ونحن ايضا سالكون على طريقهم ، وفي كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع

[1]– عبد المنعم الهاشمي ، الخلافة العثمانية ، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2001 ، ص 283 .

[2]– علي محمد الصلابي مرجع سابق ، ص 187.

[3]– جمال قنان ، مرجع سابق ، ص 34.

الحصينة وخيولنا ليلا ونهار مسروجة وسيوفنا مسلولة فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بإرادته ومشيئته.[1]

لقد كان هذا التحالف صدى مروع في الأوساط المسيحية الأوربية ،وآثار موجة من الاستياء العميق في عموم البلدان المسيحية ، وحتى في فرنسا ذاتها ضد المليكة الفرنسية.[2]

وسعيا منه للقضاء على النفوذ الجزائري من جهة ،وعرقلة نشاط فرنسوا الاول في عقد معاهدة تحالف مع السلطان العثماني الذي لعب فيه خير الدين دور وساطة من جهة اخرى جرد شارل الخامس حملة على تونس 1535 م.

كان انتصار خير الدين في تونس تهديدا خطيرا لإسبانيا والبابا والأمراء الإيطاليين وكان الموقف ملائما للقيام برد فعل ،فقد اشتغلت الدولة العثمانية في النزاع مع الفرس،وتوقف الصراع في اوروبا ووعد فرانسوا ملك فرنسا شارلكان بالحياد.

تردد شارلكان في اختيار المكان الذي سيوجه اليه ضربته في المغرب الاسلامي الجزائر ام تونس؟

ولكن استنجاد السلطان الحفصي المخلوع والرغبة في عزل الجزائر عن اسطنبول دفع شارلكان الى اختيار تونس كهدف للهجوم.[3]

قاد الإمبراطور شارلكان بنفسه حملة ضخمة من الإسبان ، وغيرهم في صيف سنة 1535 م الى تونس ، لإخراج خير الدين منها وإعادة الملك فيها الى السلطان الحسن وقد حققت الحملة هدفها ، حيث اجبرت خير الدين بعد معارك عنيفة على الإنسحاب من تونس إلى الجزائر، ودخلت قوات شارلكان المتمثلة في 400 سفينة و30 الف رجل الى مدينة تونس وعاثت فيها فساداً قتلا ونهبا وأعاد شارلكان

[1]– احمد توفيق المداني ، مرجع سابق ، ص 275.

[2]– جمال قنان ، مرجع سابق ، ص35 .

[3]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 34.

الحسن الحفصي إلى الحكم في حاضرته ، بعد ان كبله بمعاهدة مذلة ،وكان من بين شروطها:

*دفع الحسن ضريبة سنويا الى اسبانيا,والقبول باحتلال الاسبان لواقع عديدة في مدينة تونس وشواطئها كحلق الوادي و عنابة والمهدية وغير ذالك من الشروط.[1]

لكن الهدف الرئيسي للحملة الاسبانية الضخمة التي اشتركت فيها عدة امم مسيحية لم يتحقق،إذ لم تتمكن من القضاء على قوة خير الدين الذي انسحب الى الجزائر ومنها الى الجزيرة ما يورقة الإسبانية ،وهاجم ماهون وخربها وأحرقها لهزيمته في تونس قبل أن يعود إلى اسطنبول ،وخفف من انتصار شارلكان عليه ونغص على هذا الاخير وعلى رعاياه فرحتهم بالنصر على تونس.

كان خير دين يعتزم تحرير وهران حين دعاه السلطان العثماني للعودة فستخلص حسن آغا للمرة الثانية على الجزائر التي غادرها هو وأهله وحاشيته في أواخر 1535 م ولم يعد بعدها إليها.[2]

استمرت فرنسا في مساعيها لدى الباب العالي، اين لعب خير الدين دورا مهما في عقد معاهدة صداقة بين الدولتين، فرنسا والدولة العثمانية والمؤرخة في 1535/02/04. اين اكد الطرفان حالة سلم والوئام القائم بينهما والذي سيدوم بين الدولتين على مدى الحياة العاهلين وبالنسبة لجميع الاراضي والإقليم التابعة لها.

فانتصار شارلكان على تونس حفر السلطان العثماني وأقنعه بفكرة فرانسوا الأول بإعتبار أن عدوهما أصبح فعلا مشتركا.

[1]– إبن ابي دينار القيرواني ، مصدر سابق ، ص 164.

[2]– عمار بن خروف ، العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب ...، ص 29–30.

4-انتصار الجزائر على شارلكان1541م

جاءت حملة شارلكان على مدينة الجزائر في شهر اكتوبر 1541م وكان على رأس حكومة الجزائر آن ذاك حسن آغا خليفة خير الدين.

إن الأسباب التي دفعت ملك اسبانيا الى هذه المغامرة هو القضاء على نشاط المسلمين في البحر الابيض المتوسط ،فالجزائر قد شهدت نشاط لا مثيل له بعد سقوط البنيون ،وطرد الحامية الاسبانية منذ سنة 1529 م،فاكتسبت قوة بحرية فاقت القوى المحيطة بالبحر الابيض وأصبحت مأوى الاسطول معزز ،مدرب وقاعدة لخير الدين وتباعه ،اولئك الرياس الذين زرعوا الرعب والفزع في قلوب النصارى.[1]

وكانت مدينة الجزائر تراقب جميع الطرق الكبرى لهذا البحر فغزا الجزائريون سواحل اسبانيا وايطاليا وجزر الحوض الغربي، واستولوا على غلات البلاد وخربوا مدنا ساحلية انتقاما من النصارى ومعاملتهم للمسلمين في الاندلس وأثناء سفرهم على متن البحر وسلطوا اقسى الضربات على جزر الباليار حتى ضاق اهلها "وضجوا الى ملكهم بالشكوى مما يفعل اهل الجزائر بهم."[2]

ولم ينفع شارل الخامس استيلاؤه على تونس سنة 1535 او بناؤه حصن حلق الوادي فالطريق بين اسطنبول والجزائر لم يقطع وجرءة خير الدين لم تقمع وكل ما حصل بعد حوادث تونس ان اصبح نفوذ الجزائر في تزايد مستمر.

لقد سبق لهذه الغارة مفاوضات بين خير الدين والإمبراطور شارلكان باءت بالفشل،حيث ان هذا الاخير وبعد ان يئس من القضاء على الجزائر ونشاطها لجأ الى تشجيع الخيانة وتحريك طموح خير الدين،ويقال انه اقترح على حاكم الجزائر

---

[1]- مولاي بالحميسي ، غارة شال الخامس مدينة الجزائر (1541م-948م) بين المصادر الإسلامية و المصادر الغربية ، مجلة تاريخ حضارة المغرب ، مصلحة الطباعة للمعهد التربوي الوطني ، العدد 6-7 ، الجزائر 1969 ، ص 34-36.

[2]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 62.

السابق ان تكون له مملكة الجزائر والقواعد الاسبانية آنذاك مثل بجاية وعنابة وتونس على شرط ان يدخل خير الدين في خدمة ملك اسبانيا وان يجعل الاسطول العثماني تحت تصرفه.[1]

إلا ان خير الدين كان يطلع السلطان سليمان القانوني على كل ما يجري بينه وبين مفوضي الملك الاسباني.

طالت المحادثات وآلت الى الفشل بفعل الدهاء السياسي لخير الدين والذي اقتضى منه ان يعد ويتظاهر بالقبول ربحا للوقت وبحثا عن نوايا الخصم.

وقد تفطن المفاوض روميرو ممثل الامبراطور الى الواقع وكاتب دوريا 1540 يقول متأسفا "إن خير الدين أقوى إيمانا من محمد."[2]

فكر شارل الخامس في الغارة على الجزائر غداة احتلاله لتونس 1535م، فبدا الاستعداد ودام اكثر من خمس سنوات ودخلت الاستعدادات مرحلتها الاخيرة في اواخر 1540م وقد طلب الامبراطور اعانة مالية في 1539م من البابا الذي وافقه في ذالك كما راسل كاردينال طليطلة ورئيس أساقفة اشبيلية وأسقف قرطبة، كما بعث الى صاحب جنوة يأمره بتجهيز ما عنده من السفن وإعدادها للسفر.

وعلى كل فإن ماهيأه شارل الخامس كان من أكبر التجمعات البحرية المقاتلة في القرن السادس عشر ، وكان الاسطول مخيفا مريعا وصلت عدد السفن إلى 450 سفينة.

قاد هده الحملة الامبراطور بنفسه وكان يصاحبه اكبر قواد المملكة وضباطها مثل أندري دوريا و الكونت د. الكوديت و البحري الشهير منكاد وجاء هؤلاء على راس

[1]– صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 65.

[2]– مولاي بالحميسي ، مرجع سابق ، ص 40.

جنود محنكين مدربين من بلدان مختلفة فيهم المان وفيهم ايطاليون وفيهم اسبانيون وحتى فرسان مالطا تبرعت الدول المسيحية بالنفوس والنفائس.[1]

اما من الجانب الجزائري فقد اطلع الجزائريون على نوايا شارل الخامس الذي كان يهددهم منذ ان احتل تونس فاستعدوا لرد الهجوم الاسباني الثالث على مدينة الجزائر،ووصل خبر الحملة الى حسن آغا الذي بدا في تحصين المدينة ولاستعداد لمقابلة العدو واستعان حاكمها بجماعة من زعمائها لرد الغزاة،من بينهم سيدي سعيد الشريف شيخ المدينة والحاج مامي وكان رجلا من اعيان العسكر مذكور في الشجاعة ،والقائد رمضان والقائد يوسف والقائد ارسلان والحاج باشا زعيم من زعماء الترك والقائد صفر.

اما عدد العساكر فكان قليلا حيث قدر قبل الغارة بنحو 800 تركي و8000 اندلسي قدموا من بلنسية وغرناطة و1400 من الأعلاج و200 من الاعراب والسبب في ذالك ان معظم الجيوش كانت مرابطة آنذاك بغرب الجزائر.[2]

عندما تم لأسطول الإسبان الاستعداد اقلع 15 او16 أكتوبر من ماهون جزيرة مينوركا والتحقت به قوى اخرى قرب الجزائر.

وظهرت العمارة في مياه الجزائر 19 أكتوبر وفي الغد وصل الاسطول الى خليج الجزائر امام مصب الحراش الا ان الرياح اجبرته على الالتجاء الى خليج تانمفوست بقي يوم الجمعة 21 اكتوبر يترقب الفرص.[3]

لعب حسن آغادورا رئيسيا في تنظيم المقاومة ثم نهض لتعزيز المدينة وتحصين المراكز الاساسية ، وبعد ان تم التنظيم خاطب السكان وشجعهم على الصمود والكفاح بينما كان يشرف في نفس الوقت على عمليات المقاومة.

---

[1]– المجهول مصدر، سابق ، ص 116.

[2] – Haedo , opcit , p63.

[3]– المجهول ، مصدر سابق ، ص 116.

وشارك في الدفاع عن الجزائر جميع سكانها من بلدية وأندلسيين وبرانية فقد داروا على اسوار المدينة بالمكاحل والسيوف والرماح والنشاب ينتظرون الاوامر.

وفي 23 اكتوبر نزل العدو بالمكان المعروف بالحامة تقدم المسلمون لمنعهم من النزول للبر إلا ان الاسبان رموهم بالمدافع من البحر فأبعدوهم ثم انزلوا سلاحهم وتركوا الزاد والذخائر في المراكب اعتقاد منهم ان الاستيلاء على المدينة قضية ساعات.[1]

في هذه الاثناء راسل الامبراطور حاكم الجزائر حيث بعث له " أيها الرجل انت خديم من خدام بربروس وأنا ملك اسبانيا وجميع بلدان النصارى تحت طاعتي فكيف تحدث نفسك بمقابلتي ، أما تعرف اني إستوليت على مدينة تونس وأزعجت منها بربروسة ."

فأمر حسن اغا بجواب صارم يقول: يا كلب النصرانية كيف حدثتك نفسك ان ملك الملوك في مقام السلاطين العظام الدين دنت لهم الدنيا وهل انت إلا كلب من كلاب النصارى ، اضعف ما في بلاد البربرية من قلاع لا تقدر على اخذها."[2]

وفي ليلة 24 اكتوبر فتحت ابواب المدينة وخرج الحاج باشا على راس الفين من اشجع الفرسان و600 من المقاتلين وانقضوا على مخيم الغزاة فقتلوا اكثر من 3000 ألاف منهم وفي اليوم التالي اقترب العدو من المدينة وقصف اسوارها ولما يئس من احتلالها قرر الاستيلاء على المرتفعات المشرفة عليها فصعد الى كدية الصابون وتخذها قاعدة له.

في هدا الوقت ليلة 25 اكتوبر لا جاءت عاصفة هوجاء ،وأمطرت السماء مطرا كالطوفان وهال لبحر واشتدت امواجه ،فقطعت حبال السفن وساقت عدد منها الى

[1]– صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 65.

[2]– المجهول ، مصدر سابق ، ص 117 –118.

البر فكسرتها وأعطبتها فنجى كثير من اسرى المسلمين لدى الاسبان وكان عددهم نحو الف وأربعمائة كما وقع عدد كثير من النصارى بين قتيل وجريح.[1]

تواصل القتال في ذالك اليوم واشتعلت الحرب براس تافورة وحما الجزائريون على العدو وضربوا صفوفه ورموا اطرافه بينما استمرت العاصفة وانجلت المعركة عن فقتل ازيد من 4000 من النصارى واستشهد 200 من المسلمين.[2]

وفي صباح 26 أكتوبر وعندما تيقن شارل الخامس انه لن يستطيع دخول المدينة وتأكد من الهزيمة ،اضطر للانسحاب وإنقاذ ما يمكن إنقاذه ففر وزحف مشيا إلى الساحل ومنه إلى تانمفوست التى وصلها 29 أكتوبر أي بعد ثلاث أيام بعد أن أضناهم الجهد وهناك عقد مجلسا في انتظار هدوء العاصفة .

بعد ذالك اقلع أسطول الغزاة باتجاه بجاية بحثا عن الزاد وقد أرهقهم التعب وفعل بهم الجوع فعلته,ووصلوها الجمعة 4 نوفمبر فوجدوها محاصرة فعاثوا في المدينة فسادا واستولوا على أرزاق أهلها ثم بعد ذالك أبحر الإمبراطور من جديد ووصل الأسطول إلى ميوركة ومنها توجه إلى قرطاجنة حيث نزل الإمبراطور في 2 /12/ 1541 م.[3]

وذكر انه اندحار هذه الحملة أقدم الإمبراطور على نزع التاج من رأسه ورماه في البحر وقال من أراد أن يضع التاج على رأسه فليتقدم إلى الجزائر ويأخذها.[4]

لقد كان لهذه الحملة نتائج عديدة وأصداء بعيدة فعند الحديث عن الغنائم فقد كانت الخسائر شارلكان ضخمة تمثلت في 200 سفينة 30 منها حربية و200 مدفع

---

[1]– مصدر مجهول ، نفسه ، ص 120.

[2]– محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص37.

[3]– مولاي بالحميسي ، مرجع سابق ، ص 49.

[4]– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 65.

4000 رجل بين قتيل وجريح وأسير وكمية ضخمة من العتاد و الاسلحة والذخيرة.[1]

كانت هذه الكارثة المريعة التي مني بها شارلكان ضربة خطيرة للنفوذ الاسباني في غرب البحر الابيض ولاسيما في الجزائر وكانت حملته اخطر مشروع كبير ضد بلاد المغرب الإسلامي اصبحت الجزائر بعدها في نظر اروبا مدينة لا تقهر وظل ذكرها لمدة طويلة يحول دون اقدام اي دولة اوروبية عن محاولة من هذا النوع ضد الجزائر وشعر الجزائريون كذالك بالمنعة وجاء في مخطوطة جزائرية"...و فرج الله تعالى عنهم وفرح اهل الجزائر بهذا النصر العظيم وبقيت الجزائر كالعروس تختال في حليها وحللها من رخاء الاسعار،وامن الاقطار ولم يبقى لهم عدو يخافون منه وشاعت هده القضية في مشارق الارض ومغاربها وبقى رعب المسلمين في قلوب اعداء الدين من مدة من الزمن بأمن الملك المنان ."[2]

كما انباء الهزيمة قد ترددت في اسبانيا وكان وقعها شديد على القادة ورجال الدين إلا ان صدها كان مؤثرا وبالغا لدى المورسكيون الذين كانوا يتتبعون باهتمام مدى نجاح الذي حققه العثمانيون ،وكيف دانت لهم كل من سوريا ومصر وخاصة الجزائر التي اصلحت حصنا منيعا يلتجأ اليه المهاجرون الاندلسيون حيث جعلتهم يتطلعون الى النجدة من السلطان العثماني وبالفعل ففي اقل من شهر على الهزيمة امام الجزائريين بعث مسلمو الاندلس برسالة الى السلطان العثماني سليمان القانوني هذه الرسالة تكشف عن معلومات ذات اهمية تاريخية لعدد المورسكيون الموجدين في الاندلس وإعطاء صورة حية مؤلمة لما يلقونه من السلطنة الاسبانية المسيحية

[1]– مولاي بالحميسي ، مرجع سابق ، ص 52.

[2]– مصدر مجهول ، مصدر سابق ، ص 122.

آنذاك، ومدى الحيرة التي تمكنت منه ثم التأكيد على نشاط خير الدين ، وما قام به لإنقاذهم وانه الشخصية الوحيدة القادرة على انقاذهم من الهجومات الاسبانية.[1]

إن انتصار الجزائر أكد بوضوح على قوتها البحرية ومكانتها الدولية، لذالك استنجد فرانسوا الأول بخير الدين لان الأسبان أصبحوا يشكلون خطرا في سواحل فرنسا الجنوبية خاصة في مدينة نيس التي كانت تحت حكم إسباني تولى بايلرباي الجزائر خير الدين قيادة الأسطول العثماني ، واتخذ من مدينة مرسيليا مفرا عاما له ، وجاء الأسطول الفرنسي بأمر الملك فرانسوا الأول على مرسيليا تحت قيادة فرانسوا دي بربون ، فوضع نفسه تحت خير الدين ، الذي أصبح من جراء ذالك القائد العام للقوى المتحالفة الفرنسية العثمانية .[2]

لقد كان أول عمل قام به خير الدين بايلرباي الجزائر على راس القوى المتحالفة ن هو مهاجمة مدينة نيس وتخليصها من بين أيدي دوق سافوا تحت التاج الاسباني وإرجاعها لفرنسا ، ثم استقر خير الدين بأسطوله في مدينة طولون البحرية الشهيرة ، واتخذها قاعة عامة للجيش العثماني والأسطول الإسلامي ، بعد أن غادرتها الأغلبية الكبرى من سكانها ، وتركوها بأمر ملك فرنسا بأيدي المسلمين ، وبقي خير الدين وأسطوله بهذه المدينة إلى سنة 1544م.[3]

5-توطيد حسن أغا لسلطة الدولة العثمانية :

لقد كان انتصار الجزائر الساحق على اقوى دولة مسيحية في العالم بالغ الاثر ، ساهم في تأسيسها، وإعطائها اهمية كدولة عظيمة في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط.

---

[1]- عبد الجليل التميمي ، رسالة من مسلمي غرناطة الى السلطان سليمان القانوني 1541 ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 3 ، تونس ، جانفي 1975 ص 39- 43.

[2]- محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 38.

[3]- احمد توفيق المداني ، مرجع سابق ، ص 314-315.

كل هاته الحملات والانتصارات التي حققها حسن اغا في توطيد الحكم ، والقضاء على الحركات المناوئة كحركة ابن القاضي ، لم يمنع الغزو بلقيام بالحملات لتقليص نفوذ حكومة الجزائر في الغرب.[1]

وتمثلت هاته الحملات في تلك التي خاضها حاكم وهران القائد د.الكوديت بنفسه في 27 جانفي 1543 م على تلمسان ، وتمكن بها من هزم السلطان محمد الموالي لحكومة الجزائر ، ومن احتلال مدينة تلمسان في 06 فيفري من نفس السنة ، وبعد تنصيب سلطان زياني موالي للإسبان هو السلطان عبد الله اخو السلطان محمد المذكور ، قفل راجعا الى وهران في اوائل مارس ، وكان عبد الله مبغوضا من التلمسانيين ، لأنه كان تابعا للعدو الكافر ، ولان الحملة التي ساعدته في الحصول على الحكم ارتكبت في تلمسان من الافعال الشنيعة ، ما جعلهم يكرهونه ويوصدون ابواب المدينة في وجه عودته ، عقب اول خروج له لمحاربة اخيه محمد ويفتحونها في وجه هذا الاخير ، وانتهى امر عبد الله بان التجأ الى عرب انجاد في صحراء تلمسان ، الذين قتلوه فضاعت بذالك جهود الاسبان في تلمسان هباءا.وهذا ما لم يمنع ذ. الكوديت من مقاومة الامتداد العثماني في الغرب الجزائري ، حيث قام في 21 مارس 1543 م بحملة على مستغانم بهدف انتزاعها من ايدي العثمانيين ، لما لها أهمية استيراتيجية ، اذ هي قريبة من وهران وتشرف على الطريق بينهما وبين مدينة الجزائر ، إلا انه لم يتمكن من تحقيق الهدف ، وهذا لوصول تعزيزات عثمانية كبيرة اليها ، ووجد صعوبة كبيرة في التراجع الى وهران ، لتعرضه الى هجومات عرب الغرب الجزائري من جهة البر ، وقصف السفن الجزائرية من جهة البحر.

بحيث تكبد خسائر كبيرة ، وكان من بين من جاء للدفاع عن مستغانم سلطان تنس ، مما يفي أن ولائه للجزائر لم يتزعزع هذه المرة ، ورغم كل هاته الخسائر التي

[1] – Haedo , opcit , p 66 – 67.

تلقاها د . الكوديت من طرف الجزائريين ، إلا انه قام بحملة على مدينة معسكر في 1543م اجبرت حاميتها العثمانية على الإنسحاب منها إلى حين عودته ، لأن د. الكوديت لم يجرؤ على الإحتفاظ بها والتوغل من جديد إلى تلمسان التي استرجعها السلطان محمد ، بل أثر العودة إلى وهران مع أن حملته سجلة انضمام المنصور بن أبي غانم قائد بني راشد [1]

إن الجهود والحملات التي خاضها د. الكوديت على الغرب الجزائري في 1543م لتوسيع نفوذ الإسبان ، وتقليص نفوذ حكومة الجزائر قد ذهب هباء ، وهذا راجع لقوة ومكانة حسن اغا والذي تمكن من استعادة نفوذ الجزائر على الغرب الجزائري ، وتوسعه ليشمل مناطق في الجنوب الشرقي ، حيث قام ببسط نفوذه على بسكرة وما جاورها من بلاد الزيبان ، وما يخفى ما لبسكرة من أهمية اقتصادية ، فهي محطة لقوافل التجارة الذاهبة إلى بلاد السودان و الايبة منه كما انها محطة هامة للحجاج الجزائريين والمغاربة .[2]

ولقد شهدت ولاية حسن اغا الثانية ايضا جلاء الاسبان عن عنابة في اواخر 1540م بعد ان عانوا كثيرا من هجمات قبائل الشرق الجزائري وأتراك قسنطينة ، وكانت ولايته الاولى قد شهدت جلاء الاسبان عن هنين في اواخر سنة 1534م بعد تخريبهم لها .

وهكذا بعد استتباب الأمن وسير الأمور إلى مجراها ، توفي حسن اغا في سبتمبر 1544م بالجزائر ، ودفن بمقبرة باب عزون .

ومن أهم آثاره العمرانية بالعاصمة ، برج الفنار المشرف على المرسى القديم أسسه 1541م، وقلعة سلطان قالاسي القائمة بكدية الصابون، وهو المكان المعروف باسم برج مولاي حسن،او برج بوليلة ، والمسمى ايضا بحصن الإمبراطور،اقامه حسن

[1]– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 65.

[2]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 34.

اغـا ذكـرى لانتصـاره علـى شـارلوكان فـي حملتـه ضـد الجزائر،وانشـأ الـى ذالـك واحـد وثلاثون غليوطة جديدة اضافها الى الاسطول الجزائري .[1]

وهكـذا فـإن خيـر الـدين يعتبـر واضـع السياسـة التـي اتبعهـا أن جـاء بعـده وراسـم الأهـداف التـي تحقـق بعضـها فـي عهـده وبعضـها الآخـر فـي عهـود مـن تولـو بعـده كتحريـر الجزائـر مـن القواعـد الإسـبانية وتوحيـد الـبلاد الجزائريـة ومـد نفـوذ الجزائـر ليشـمل اغلـب المغـرب الإسـلامي ومسـاعدة مسـلمي الأنـدلس ، ويضـاف إلـى مـا تقـدم مـن جهـوده بنـاء مينـاء الجزائـر زيـادة علـى أنـه اوقـف الأوقـاف العديـدة علـى بعـض مسـاجدها ، كمـا انـه هـو الـذي نهـض ببنـاء شرشـال ،وأنقـذ الكثيـر مـن الأندلسـيين المضـطهدين فـي اسبانيا.اسـتخلف حسـن اغـا علـى الجزائـر التـي غادرهـا هـو واهلـه وحاشـيته فـي اواخـر سـنة 1535م ولـم يعـد بعـدها اليهـا وتـوفي عـام 1546م مكلـلا بانتصارات بحرية جديدة على الاسبان وحلفائهم.[2]

[1]– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 67.

[2]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 30.

الفصـــل الرابع

استكمال تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة

1-جهـــود حســـن بـــن خيـــر الـــدين فـــي ولايتـــه الأولـــى 1544 م-1551 م

2-جهود صالح رايس 1552 م-1556 م.

3-جهـــود حســـن بـــن خيـــر الـــدين فـــي ولايتـــه الثانيـــة 1557 م-1561 م

4-جهـــود حســـن بـــن خيـــر الـــدين فـــي ولايتـــه الثالثـــة 1562 م-1567 م

5-جهود العلج علي 1568 م-1587 م

1- جهود حسن بن خير الدين في ولايته الأولى(1544م-1551م)

لما كان خير الدين باسطنبول طلب الخلعة لابنه حسن الذي كان مقيما معه ، ولقد كثر طلاب المنصب لما رأوا من النفع والفوائد وجمع الأموال ، فأجيب إلى طلب خير الدين لما اسداه هو والعائلة كلها من الخدمة للباب العالي والعالم الاسلامي .

عين حسن بن خير الدين بيلربايا على الجزائر ، فاتجه من اسطنبول مسلحا بفرقة من الجيش الانكشاري وقطعة من الأسطول البحري للجهاد ومواصلة تحرير المدن الجزائرية من الاحتلال الاسباني .[1]

جاء تعيين حسن باشا في بادئ الأمر كنائب لوالده في الجزائر عام 1544م ، ثم رقي الى منصب بيلرباي بعد وفاة والده عام 1546م،وكلف بين عامي 1546م و1567م ثلاث مرات بهذا المنصب .[2]

لما وصل الى الجزائر في 20 جوان 1544م ،كان حاجي باشا الذي تولى الامور في الجزائر مؤقتا بعد حسن اغا ،قد تمكن من القضاء على ثورة الشيخ بوطريق في نواحي مليانة الذي ثار في اعقاب موت حسن اغا وزحف بقوات كبيرة من القبائل للقضاء على حكم العثمانيين في الجزائر ،فتفرغ البيلرباي الجديد لقضية تلمسان التي اشتد التنافس حولها في عهده.[3]

---

[1]- عبد الحميد ابن ابي زيان بن اشنهوا ، مرجع سابق ، ص 207.

[2]- محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 38.

[3]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 34.

كان الاسبان كما تقدم حريصين على عدم استقرار الامور في تلمسان للعثمانيين ،او الامراء الزيانيين الموالين لهم ولذالك فان السلطان محمد بن عبد الله الذي استرجع الملك في تلمسان من اخيه عبد الله، ما لبث ان اطاح به اخوه الاخر أحمد الذي كان يدعمه خاله المنصور بن ابي غانم الموالي للإسبان، مما جعل حسن بن خير الدين لا يتأخر كثيرا عن المسير إلى تلمسان لإزاحة احمد وخاله عن الحكم، وقد تمكن في جوان 1545م من الدخول الى المدينة التي خرج منها المنصور وابن اخته احمد وأتباعهما متوجهين الى دبدو في شرق المغرب،ومنها الى الإسبان في وهران ، بعد فترة من الاسر في المدينة المغربية من قبل اميرها مولاي عمار[1] ونصب حسن ابن خير الدين على عرش تلمسان احد اخوة احمد المخلوع، وهو المنتصر ،وترك له عند عودته الى الجزائر حامية تحميه ، ولكن الاسبان تدخلوا من جديد سنة 1546م لتقديم عونهم للسلطان احمد المخلوع وخاله المنصور ،وتحركت حملتهم نحو تلمسان وسار حسن بدوره نحوها للحيلولة دون تحقيق غرضهم ، الى انه حدث في هذه الاثناء ان وصله نبا وفاة والده مما اثر فيه وفي جيشة فرجع الى الجزائر دون ان يصطدم بالحملة المعادية [2]

استغل الاسبان رجوع حسن ابن خير الدين للقيام بمحاولة ثانية لانتزاع مدينة مستغانم سنة 1547م من ايدي الجزائريين ، لكن حامية مستغانم التي انضمت اليها حامية تلمسان وجاءتها امدادات من الجزائر استطاعت الصمود ووجد الاسبان صعوبة كبيرة في الانسحاب الى وهران كالمرة الاولى وتكبدوا خسائر كبيرة خسائر كبيرة ، واثر هذا الفشل اما مستغانم وانحصارهم في وهران ، اكتفوا بالدفاع عن انفسهم .[3]

---

[1] – Haedo , opcit p 74.

[2]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 35.

[3]– مرجع نفسه ، ص 36.

ما إن هزم محمد الشيخ الوطاسين في فاس سنة 1549 م ، حتى توحد كل المغرب الاقصى تحت الدولة السعدية ، فبدا هذا الحاكم السعدي يفكر في توسيع خارج المغرب الاقصى ، فبدا بضم تلمسان باعتبار انها كانت قبل الزيانيين تابعة للمغرب الاقصى ، فقد كانت دوما مطمعا لحكام المغرب وهدفا لغزوهم واحتلالهم منذ عهد المرينين و الاسر التي حكمت المغرب قبلهم كالموحدين والمرابطين و الأدارسة ، لما كانت تحتله من اهمية بالغة ، فزيادة على تجارية هامة بين اروبا وبلاد السودان بؤرة ثقافية ودينية مشعة في المغرب الإسلامي ، إلا ان تدخل السعديين في تلمسان لا يعود فقط الى توسيع ملكه واستكمال توحاته المغربية او إلى جعل احد ابناه ملكا على تلمسان ، بل يعود كذلك الى خوفه من ان يتخذ العثمانييون هذه الاخيرة موطئا لغزوه في المغرب . فتدخله في تلمسان كان لإرساء دعائم حكمه ي المغرب اولا ثم اتخذها قاعدة امامية في وجه التدخل العثماني المحتمل ضده ، وكذلك سعيا منه للتوسع فيما يليها ، اذ كان طموحه يرمي الى تأسيس مملكة تمتد حتى مصر ، قد كان يردد دائما ان (لابد ان اذهب الى مصر واخرج منها الاتراك) .[1]

مهد محمد الشيخ لتدخله في تلمسان بحمله وجهها في ربيع 1549 م الى الشرق المغرب الذي اخذ النفوذ العثماني يمتد اليه ، فاستولى على غرسيف ثم وجدة ، حيث اضطر الحاكم العثماني لهذه المدينة الاخيرة الى الفرار منها .

وفي ربيع 1550م تحركت قوات مجمد الشيخ الكبيرة الى تلمسان بقيادة محمد الحران كبير ابنائه ومساعدة اخويه عبد القادر و عبد الرحمان لتدخل تلمسان في التاسع جوان 1550م دون ان يواجهوا اية مقاومة من حاميتها العثمانية ، التي

[1]– صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 72.

كانت تتألف من مئتي جندي فقط ، والتي استسلمت لهم ، فاقتادوا افرادها مع السلطان الحسن التابع للعثمانيين إلى فاس .[1]

لم يرض حكام الجزائر العثمانيين عن احتلال السعديين لمدينة تلمسان التي كانت تحت سيادتهم ولطالما عانوا في فرض سيادتهم عليها من تذبذب الامراء الزيانين ، ولذلك اعدوا حملة كبيرة واسندوا قيادتها للقائد حسن قورصو اليها في اوت 1550م .

وفي 4 سبتمبر 1550م جرت معركة بالقرب من تلمسان انهزم فيها السعديون ، لكن المدد الذي بعث به محمد الشيخ ، اضطر حسن بن خير الدين اعد حملة مضادة اخرى كبيرة اسند قيادتها للقائد صفا ، اخذت في التحرك نحو تلمسان وقد انضمت الى هذه الحملة القبائل التي اضربها الهجوم السعدي مثل قبائل بني عامر.[2]

في فيفري 1550م جرت معركة فاصلة بين الطرفين وذلك في بوعزون قرب تلمسان انتهت بهزيمة السعديين هزيمة ساحقة حيث قتل فيها ثلاث ارباع الجيش المغربي الذي كان يقدر نحو سبعة عشر الفا ، وكان من بين القتلى عبد القادر بن محمد الشيخ ومن بين الجرحى اخوه عبد الرحمان الذي تمكن من العودة الى المغرب بمشقة كبيرة ثم دخل العثمانيون تلمسان بدون صعوبة وانزلوا العقاب بانتصار السعديين وهذا بمصادرة اموالهم وفرض عليهم وفرض عليهم غرامات كما قاموا بتنصيب مولاي عمار بن عبد الله الزياني علي تلمسان والذي لجا الى الجزائر في اعقاب احتلال السعديين لتلمسان ثم خلعوه في جويلية 1551م وأرسلوه الى الجزائر.

[1]– احمد توفيق المداني ، مرجع سابق ، ص 326.

[2]– عزيز سامح التر ، مرجع سابق ، ص180.

اذا ان حسن بن خير الدين ازاء الأطماع السعدية من جهة والتدخلات الإسبانية من جهة اخرى قد قرر في هذه السنة ان يكون حكم مدينة تلمسان بيد قائد عثماني، دون ان يكون الى جانبه سلطان زياني ، مهما كان ضعيفا ، وان يقيم فيها حامية من قوات الجزائر ، فوضع بقراره ذلك نهاية لحكم الاسرة الزيانية التي غدت منذ عدة عقود بلا قوة ولا شعبية ، بعد ان عرفت خلال عهدها الطويل 1228-1551م فترات من المجد والقوة.[1]

بعد ان اطمئن حسن ابن خير الدين الى حالة الامن و الاستقرار التي سادت معظم ارجاء القطر الجزائري في هذه المرحلة وجه اهتماماته الى مدينة الجزائر[2] التي عمل على تقوية تحصيناتها التي كشف هجوم شارلكان 1541م ضعفها ، حيث لنشا برج في موقع كدية الصابون الي خيم بها شارل الخامس من حملته المشهورة وحصنه تحصينا جيدا وقد سمي برج مولاي حسن نسبة اليه ، هذا الحصن لا يبعد كثيرا على حافة الطريق الغربي بحيث يشرف على كل الداخلين الى المدينة من الباب الجديد ، وهو يبعد 1700م من القصبة و هو الحصن الوحيد لحماية المدينة من الجهات الجنوبية وقد شرع في بنائه سنة 1545م.[3]

كما اهتم حسن باشا بتنظيم الجيش وتدريبه وإعداده بشكل جيد ومن ثم التفت الى تحسين المدينة وتامين الخدمات الصحية فيها ، كما امر بإنشاء الحمامات العامة المجانية و المستشفيات و الثكنات العسكرية ، وظل يشرف على ادارتها دقيقة ومنتظمة من 1544 الى غاية 1551م.[4]

عندما كان حسن باشا منشغلا بهذه الاعمال جاءه فرمان من اسطنبول يأمره بالحضور فورا ، وتجنبا من عدم اضاعة الوقت تحرك اليها 1551م.

---

[1]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 36.

[2]- عزيز سامح إلتر ، مرجع سابق ، ص 181.

[3]- حليمي عبد القادر ، مرجع سابق ، 245.

[4]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 333.

فسر تبديل جسن باشا بعدة تفسيرات ، فالشائعات التي اشيعت بحق حسن باشا كانت نتيجه للدسائس الفرنسية لدى الباب العالي التي كان يحملها له سفير فرنسا والتي مفادها ان حسن بن خير الدين يشكل خطرا على الدولة العثمانية وانه يسعى لتثبيت وجوده هناك لأنه يعتبر نفسه جزائريا .

فحسن باشا كان معاديا لفرنسا وغير مكترث بالعلاقات الطيبة التي كانت تربط بين حكومة اسطنبول وحكومة باريس ، وغير معترف بالمعاهدة التي كانت بينهما والتي مكنت فرنسا من حريات اقتصادية واسعة ببلاد السلطنة العثمانية.[1]

وبعد مغادرة حسن بن خير الدين الجزائر ، كلف الباب العالي القائد صفا بإدارة الجزائر بصفة مؤقتة الى حين مجيء البايلرباي الجديد صالح رايس وصلها ابريل 1552.[2]

2-جهود صالح رايس (1556-1552م) :

ما ان وصل صالح رايس الى الجزائر في افريل 1552م حتى توفرت ورقلة قد امتنعتا عن دفع الضريبة المعتادة وكانت المدينتان ، قد خضعتا للدواة العثمانية لتحمي نفسيها من القبائل العربية ، وقد جاء هذا الخضوع عقب حملة حسن اغا الى ناحية بسكرة والزيبان .[3]

عمل صالح رايس على توسيع نفوذ السلطة المركزية الجزائرية باقليم الجنوب الصحراوي ، فشن لهذا الغرض حملة عسكرية مكنته من فرض سلطته بالاغواط وورقلة وتقرت ووادي سوف وكان ذلك في اكتوبر 1552م ، وكان قوام هذه الحملة حوالي 3000 رجل من حاملي البنادق و 1000 صبايحي و 8000 من رجال زواوة على راسهم عبد العزيز امير قلعة بني عباس وقد تمكن صالح رايس رغم

[1]- احمد توفيق المداني ، مرجع سابق ، ص 333.

[2]- عزيز سامح التر ، مرجع سابق ، ص 183.

[3]- محمد خير فارس ، مرجع سابق ، 41.

الظـروف الطبيعيـة الصـعبة مـن وضـع حـد للمقاونـة حـاكمي تـوقرت وورقلـة ، ففـي تـوقرت لـم يجـرا ملكهـا الصـبي احمـد بـن سـليمان بـن عمـر علـى الخـروج لمواجهـة الجيش العثماني.[1]

قصـف صـالح رايـس المدينـة مـدة ثلاثـة ايـام ، وبعـد سـبعة ايـام مـن الحصـار اقتحمها والقى القبض على الملك ، الذي القلى بالمسؤولية على وصيه.

كمـا أن حـاكم ورقلـة لـم يقـوى هـو الآخـر علـى الوقـوف فـي وجـه قـوات صـالح رايـس التـي داهمـت المدينـة بعـد أن قطعـت المسـافة بينهمـا وبـين تـوقرت فـي سـير متواصـل في ظرف أربعة أيام. [2]

لـم يجـد صـالح رايـس فـي ورقلـة عنـدما دخلهـا سـوى أربعـين تـاجرا مـن أغنيـاء السـودان كـانوا قـد حطـوا رحـالهم بهـا ،فأخـذ مـنهم مـائتي ألـف ريـال ضـريبة حـرب، ومكـث بالمدينـة عشـرة أيـام ينتظـر رجـوع حاكمهـا الـذي فـر منهـا مـع أربعـة آلاف فـارس وكثيـر مـن الآهـالي ليضـطر مجـددا إلـى الإعتـراف بالسـلطة العثمانيـة ملتزمـا بـدفع الضـريبة ، ليعـود صـالح رايـس مجـددا إلـى تـوقرت أيـن أعـاد ملكهـا إلـى عرشـه بعـد أن التـزم هـو الآخـر بـدفع الضـريبة التـي قـدرت قيمتهـا ألفـي قطعـة ذهبيـة مـع عـدد مـن رقيـق السـودان قـد يصـل إلـى ثلاثـين عبـدا. هكـذا عـاد صـالح رايـس إلـى الجزائـر بعـد أن تعهد له حكام واحات وادي سوف وتوقرت وورقلة والأغواط بالخضوع .[3]

وفـي أثـر رجـوع صـالح رايـس وعبـد العزيـز مـن ورقلـة، دب النـزاع بينهمـا لأن صـالح رايـس كـان يريـد إخضـاع الزعامـات المحليـة إليـه،وهو أمـر لـم يكـن لينسـجم مـع حـرص بنـي عبـاس علـى اسـتقلاله ،فثـار عليـه وقـد حصـلت بـين الطـرفين عـدة معـارك قـاد إحـداها صـالح رايـس بنفسـه والأخـرى ولـده محمـد ،والثالثـة سـنان رايـس، انتهـت

[1]– أبو عمران الشيخ و ناصر الدين سعيدوني ، و آخرون ، معجم مشاهير المغاربة ، الملكية للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، بدون سنة ص 317.

[2]– صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 74.

[3] – Haedo , opcit , p 269.

جميعا بانهزامهم ، ما جعل خطره يستفحل وأتباعه يكثرون زيادة على إقامته علاقات مع القوى المعادية للحكم العثماني في الجزائر كالإسبان والسعديين ، لذلك فإن صالح رايس عمل على ضرب تلك القوى ايضا ،ومن اجل ذلك عقد الصلح مع أمير كوكو المنافس التقليدي بني عباس في سنة 1552م ،وأشركه في حملته على المغرب في السنة التالية .

قرر صالح رايس مهاجمة المغرب لإسقاط حكم السعديين في فارس و اعادة تنصيب أبا حسون ملكا عليها ، هذا الأخير الذي وصل الجزائر في أكتوبر 1552م لطلب المساعدة على استرداد ملك الوطاسيين الذي أطاح به محمد الشيخ السعدي في المعركة بوعقبة سنة 1545م ولأجل ذلك أعد حملة كبيرة كانت تتألق من أربعة ألاف من حملة البنادق ،وألف من الصبائحيين الفرسان ، وأربعة ألاف من الفرسان العرب بعث أمير كوكو بقسم كبير منهم وبعث غيره من رؤساء العرب القسم الأخر ، وثمانين من الجنود النصارى الأسرى لديه،وعدهم بالحرية مقابل عنايتهم بمدفعيته ، وأسطول مؤلف من 22 سفينة محملة بالأثقال والرجال.[1]

ولما استكمل الاعداد لحملة أخذ في التحرك برا وبحرا في اتجاه المغرب في أواخر سبتمبر 1553م وبرفقته أبو حسون.

وصلت الحملة الجزائرية الى مشارف فاس في 3 جانفي 1554م بعد عدة معارك تقهقر فيها السعديون وخسر فيها الطرفان الكثير ، تجدد القتال في يوم الموالي وانهزم السعديون ، ولما تأكد محمد الشيخ أن الفاسيين قد مالو عنه الى أبي حسون وبعثو ا في طلبه ، انسحب ليلا من فاس وتوجه الى مراكش .[2]

كان دخول صالح رايس وأبو حسون الى فاس في صباح 05 جانفي 1554م، وبذلك تصبح فاس تابعة لنفوذ الدولة العثمانية بالجزائر .

---

[1]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 150.

[2]– أبو عمرلن الشيخ و ناصر الدين سعيدوني و أخرون ، مرجع سابق ، ص 320.

بعد عودة صالح رايس الى الجزائر وانشغاله في تحرير بجاية ، استغل محمد الشيخ الفرصة وحاصر فاس في جوان من نفس السنة ، ليقضي في النهاية على الحكم الوسطي للمرة الثانية والأخيرة في سبتمبر 1554م .[1]

اذا كان صالح رايس قد تمكن من استمالة ملك كوكو أحمد بن القاضي بسهولة ، قبل الحملة على فاس فان الأمر لم يكن سهلا مع أمير بني العباس لم يتمكن من تحقيق المصالحة مع هذا الأمير الطامح لإمارة واسعة إلا بعد أن أتخذ قرار اعلان الحرب على الاسبان في بجاية .[2]

زحف صالح رايس إلى بجاية في جوان 1555 م وفي 16 سبتمبر من نفس السنة تمركزت قواته أمام بجاية ونصب الجزائريون بطاريات المدفعية المؤلفة من ثمانية مدافع ذات قطر كبير أمام القلعة و باشروا قصفها وبعد قصف مركز تمكنوا من هدم قصر الإمبراطور في حصن موسى أما قصر البحر في حصن عبد القادر فلم يتمكنوا من ضربه وفي يوم 06 أكتوبر 1555م من الهجوم سقطت القلعة الداخلية ، وبعد سقوط كافة الاستحكامات بيد صالح رايس سمح للأهالي من المسيحيين بأخذ لأموالهم شريطة تسليم ما لديهم من أسلحة وذخائر والرحيل عم البلاد .[3]

أدرك دون ألونزودي بيرالتا قائد قوات حرس بجاية عدم جدوى من المقاومة ولكنه لم يعلن استسلامه قبل أن يطلب صالح رايس منه التسليم إزاء ذلك بدأ صالح رايس يشدد قصفه على المواقع الاسبانية والمقاومة المحلية على حدا سواء مما دفع الاسبانيين والأهالي على الاستسلام ، أما دون ألونزو فقد تمكن مع مئة وعشرون شخصا من النجاة ،بعد ما رموا بأنفسهم على سطح السفينة نقلتهم إلى " ألقنت " إحدى مدن الإسبانية .[4]

---

[1]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 78.

[2]– صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 78.

[3]– أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني وآخرون ، مرجع سابق ، ص 321.

[4]– عزيز سامح التر ، مرجع سابق ، ص 196.

وفي 28 سبتمبر 1555م دخل صالح رايس بجاية وألقي القبض على 600 شخص كما غنم الأسلحة والذخائر الاسبانية ، وتبريرا لما حدث أعدم الإسبان دون ألونزو ككبش فداء ، مع أنه أبدى مقاومة شديدة ، وقد نفذ فيه حكم الإعدام في ساحة فالادوليدين voladolin.[1]

وعند خروج الأسبان من بجاية سيطر عليهم الأسى والحزن ، وشاركهم الإمبراطور وجميع قادته هذا المصاب وليؤكد الإمبراطور حزنه قدم دون ألونزو قربانا بريئا ، مع العلم أنه قدم أثناء محاكمته الوثائق و الأدلة التي تؤكد اضطراره لتسليم القلعة ، وبخروج الإسبان من بجاية لم يبقى بأيديهم سوى وهران والمرسى الكبير .[2]

شجع هذا الانتصار صالح رايس على مواصلة خطته الحربية فبدأ يستعد لمحاصرة وهران والمرسى الكبير وطرد الإسبان منهما وقد أرسل قوة برية لغرض الحصار على حصون وهران تتألف من حوالي 30 ألف رجل بينما ظل في انتظار وصول الإمدادات من إسطنبول وقد عسكر برأس تامنفوست ، قبالة مدينة الجزائر مع 30 سفينة وذلك حتى يتجنب انتقال عدوى الطاعون الذي كان يعصف بمدينة الجزائر إلى الفرق العسكرية المرابطة معه على أن القدر لم يمهله فأصيب بالطاعون وتوفي بعد أيام في شهر جوان 1556م عن سن ناهز 70 وقد دفن خارج مدينة الجزائر بناحية باب الوادي بمقبرة الباشوات التي مسحتها القوات الفرنسية ونقلت رفاتها إلى مقبرة سيدي عبد الرحمان 1882. [3]

لقد حظي صالح رايس أثناء حكمه للجزائر برضى السكان وتعاطفهم معه لأعماله الجليلة وسلوكه الحسن وموافقة البطولية وقد أعربوا عن تقديرهم له وتعلقهم به في عدة رسائل وجهت إلى إسطنبول منها رسالة صدرت عن أعيان المهدية وقسنطينة

[1]– أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني و آخرون ، مرجع سابق ، ص 322.

[2]– عزيز سامح التر ، مرجع سابق ، ص 196.

[3]– صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 81.

وتوجهوا بها إلى سليمان القانوني بتاريخ 1555/11م نقتطف منها " أن أبانا صالح أدام الله إقباله..

جاء من حضرتكم العالية ... يسير سير العدل و الإنصاف وهدم أساس الجور و الإعتساف وقطع الأمكاس والمظالم وجلب المصالح الهنيئة إلى دوام العالم ... " .[1]

ومن أثار المعمارية بالعاصمة دار السلطان أو قصر الجنينة بأسفل المدينة مكث في بنائه 5 سنوات من 1552 – 1556م ودام هذا البناء الشامخ طوال تاريخ أيام الحكم العثماني بالجزائر إلا أن هدمته السلطة الفرنسية 1856م ، وقام بإصلاحات عمرانية شتى أدخلها على رصيف خير بالدين بمناء العاصمة القديمة كما أنه زادا في طوله 1556م . [2]

ومما تقدم يتضح أن جهود صالح رايس في المجال الداخلي كانت ترمي إلى توطيد الحكم في الجزائر بالقضاء على الزعامات المحلية ، أو إخضاعها إلى سلطته ، واستكمال تحرير الشواطئ الجزائرية لأجل تحقيق الوحدة السياسية للجزائر .

أما في المجال الخارجي فكانت جهوده موجهة إلى النفوذ العثماني بالجزائر إلى المغرب واستغلال الفرصة المتاحة للتدخل في هذا الأخير .

3- جهود حسن بن خير الدين في ولايته الثانية (1557 – 1561م)

وصل حسن بن خير الدين الذي عين للمرة الثانية على رأس حكومة الجزائر إلى مدينة الجزائر واستلم الحكم فيها دون أي معارضة في جوان 1557 م ، ثم أسرع إلى تلمسان لاسترجاعها ولفك الحصار عن حاميتها ،ولم ينتظر السعديون وصوله للانسحاب من المدينة ثم أقدم مع شن هجوم على المغرب الأقصى لاحتلال فاس إلا أن هجومه باء بالفشل وقد عاد من المغرب إلى الجزائر عن

[1]– أبو عمران السيخ وناصر الدين سعيدوني و آخرون ، مرجع سابق ، ص 322.

[2]– عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 98.

طريق البحر ، واستعد لحملة د.الكوديت التي استهدفت مستغانم للمرة الثالثة هذا الأخير الذي ما كاد يصل إلى قرية ماز غران المجاورة لمستغانم حتى وجد نفسه محاصرا من جميع الجهات ومضطرا إلى القتال في فوضى واضطراب وفي إعياء وجوع و عطش ، فلقي مصرعه وقتل وأسر كل جيشه في 26 أوت 1558م .[1]

من جهة أخرى فإن حسن قرر محاربة عبد العزيز أمير بني العباس الذي لم يكتفي برفض الخضوع لهم وإنما كان يقوم أيضا بمهاجمة المناطق الخاضعة لسيطرتهم ويهددهم في بجاية ويهدد مواصلاتهم مع قسنطينة ويظهر استعداد للتعاون مع السعدين .

لهذا الغرض جهز حملتين الأولى اقتصرت على بناء بعض الأبراج في المنطقة المجاورة لمقر عبد العزيز كبرج مجانة وبرج زمورة ، إلا أنه ما كاد يعود إلى مدينة الجزائر حتى هاجم عبد العزيز على تلك الأبراج وقتل من فيها.[2]

أما الحملة الثانية فقد اشترك فيها حليفه وصهره ابن القاضي أمير كوكو وبعد معارك عنيفة قتل عبد العزيز واستلم القيادة أخوه أمقران الذي استمر في المقاومة ، وبقي محتفظا باستغلاله على منطقة والمناطق المجاورة لها من جهتي الجنوب والشرق .[3]

وفي الوقت الذي أخذ حسن ابن خير الدين بعد حملة مع السعدين في الغرب اعتقله قادة الجند الإنكشاري وأرسلوه مقيدا إلى إسطنبول في جويلية 1561م بدعوة أنه كان يتقرب كثرا من الأهلي ويريد الاعتماد عليهم تمهيدا للاستقلال على الدولة.[4]

4- جهود حسن بن خير الدين في ولايته الثالثة 1562 – 1567م

[1]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 102 – 103 .

[2]- محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص 45.

[3]- عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 208.

[4]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، مرجع سابق ، ص 93.

بعد أن عهد لحسن بن خير الدين بحكومة الجزائر للمرة الثالثة جوان 1563م أي بعد نحو سنة فقط على غيابه على الجزائر وجه اهتمامه ألى تحرير وهران والمرسى الكبير من الإسبان لتأكده مرارا أن لا اطمئنان على مستغانم وتلمسان وكل الغرب الجزائري ومدينة الجزائر نفسها طالما بقي الإسبان فيهما ، وأن الإقدام على أية حملة على المغرب السعدي والإسبان في وهران ومرساها الكبير مخاطرة كبيرة لأن الرجعة يكون مهددا بالقطع من قبلهم ،إلا أن حملته عليهم سنة 1553م قد باءت بالفشل بعد حصار دام شهرين ، بعد وصول عدد كبير من مدد إسبانيا الأمر الذي جعله يأمر برفع الحصار على أمل القيام بمحاولة أخرى.[1]

كان رد الإسبان على هاته الحملة القيام في جويلية 1563م بحملة ضد حجر باريس الذي كان بيد الجزائرين منذ 1554 م انتهت بالفشل لكنهك أعادوا الكرة في السنة التالية وتمكنوا من احتلاله في 06 سبتمبر 1564م .[2]

وبينما كان حسن بن خير الدين يحاول التخلص نهائيا من الإسبان في وهران والمرسى الكبير دعاه السلطان سليمان القانوني إبتداءا من سبتمبر 1564م للاستعداد للحملة على مالطة وكانت مشاركة الجزائر في حملة " ماي – سبتمبر " 1565م مشاركة فعالة بقيادته رغم فشلها في النهاية .[3]وفي جانفي 1567م عينه السلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني أميرا للبحرية العثمانية ، فغادر الجزائر نهائيا بعد أن كان قد ثبت الحكم العثماني فيها

وخلف ورائه تنظيما إداريا لها ،[4] ففي عهده تم تقسيم البلاد الجزائرية إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، كل قسم تحت اشراف باي ، وهذه البايليك هي بايلك الغرب وقد استحدثه اثر عودته من حصاره لوهران والمرسى الكبير 1563م وجعل مقره في

[1]– علي محمد الصلابي ، مرجع سابق ، ص 232.

[2]– عزيز سامح إلتر ، مرجع سابق ، ص 217.

[3]– صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 98.

[4]– أحمد توفيق المداني ، مرجع سابق ، ص 385.

مدينة مازونة القديمة الداخلية الواقعة بين تنس ومستغانم وبفضل موقعها هذا كانت غير مهددة من قبل الإسبان، كما أن الموقع كان يسمح للباي أن يقدم مساعدته على جناح السرعة لكل من حاميات تنس ومستغانم وقلعة بني راشد وحتى إلى تلمسان.

وبايلك الجنوب وهو اقدم من الاول استحدثه في سنة 1548م وكانت قاعدته مدينة المدية الداخلية 85 كلم جنوب الجزائر وحده من الشمال سهل متيجة ، ومن الشرق وطن بني سليمان وسور الغزلان ويمتد جنوبا الى اعماق الصحراء ومن الغرب بايلك الغرب ، وبايلك الشرق وكانت قاعدته مدينة قسنطينة ولا يعرف بالضبط متى استحدث ، ذلك ان مدينة قسنطينة ظلت موضع تنافس بين العثمانيين في الجزائر والحفصيين في تونس التي خلصت نهائيا لنفوذ الجزائر 1575م ، وهناك قسم صغير رابع يمتد بين دلس شرقا ، وتنس غربا وبين البحر شمالا والحدود الشمالية لبايلك الجنوب ، وكانت ادارته تحت الاشراف المباشر للبايلرباي وهو الذي كان يعرف بدار السلطان .

وقد كان كل بايلك يشتمل على عدد من الاوطان ، وكل وطن على عدة قرى وقبائل ، وكان حكم الوطن يسند عادة الى عثماني او كولو غلي والحكم في القرى و القبائل لشيخ من اهلها ، والقبائل حسب علاقتها بالسلطة نوعان ، قبائل مخزية متعاونة مع الدولة لفرض سلطتها وحفظ الامن وجمع الضرائب ، وقد كانت معفية من اداء الضرائب مقابل خدماتها ، اما النوع الثاني فقبائل الرعية و هي التي كانت تدفع الضرائب ولا تتمتع بأي إعفاء.

وهناك عدد من رؤساء القبائل والاسر الكبيرة كبني القاضي وبني عباس وبني جلاب وغيرهم ، ظلوا يحتفظون بنفوذهم مع التبعية للعثمانيين في الجزائر.[1] توفي حسن بن خير الدين 1570م ودفن الى جوار والده عن عمر يناهز 55 سنة. [1]

[1]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 105-106.

5- جهود العلج علي 1568-1587 م

تولى أمر الجزائر خلفا لمحمد بن صالح رايس، البايلرباي الجديد العلج علي في 08 أوت 1568م ، هذا الأخير عرف عنه بالعزم في تسيير الادارة والبطولة الحربية والشجاعة.[2]

إهتم العلج علي بتنظيم البلاد وتحصين دفاعات فأتم بناء برج الوادي 1568م، الذي بدأ في بنائه سلفه فوق صخرة مربعة لحماية الجزائر من جهة الغرب، وأنشأ داخل المدينة ثكنة إضافية لجنود الإنكشارية (1572-1571)، عرفت بدار المقرئين أو المكرون لوقوعها في نهج يحمل هذا الإسم.[3]

لقد تركز اهتمام العلج علي أثناء حكمه للجزائر على محاصرة الإسبان والعمل على تصفية وجودهم بوهران والمرسى الكبير وتونس والحد من تطلعات الملوك السعديين نحو منطقة تلمسان وعلى مساعدة مسلمي الأندلس في محنة التنصير وتهجير القسري الذي تعرضوا لها.[4] فصمم على البدء بطرد الإسبان من تونس مستغل اضطراب الأمر على احمد الحفصي في تونس واضطراب الأمر على ملك الإسباني فيليب الثاني بن شارلكان في اسبانيا التي شهد في بداية سنة 1569 قيام ثورة الأندلسيين بدعم من الجزائريين وكذا الدعوة التي تلقاها من بعض الناقمين على الوضع في تونس ليقوم بحملة على تونس في سبتمر 1569م، نجح بها في هزم السلطان أحمد أول مرة في باجة، ثم في سيد على الحطاب، فر على أثر ذلك السلطان المنهزم إلى مدينة تونس، ومنها الى الاسبان في حلق الوادي لطلب

---

[1]- عبد الحميد ، بن ابي زيان بن أشنهوا ، مرجع سابق ، ص 209.

[2]- أحمد علي الصلابي ، مرجع سابق ، ص 234.

[3]- عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 225.

[4]- أبو عمران السيخ وناصر الدين سعيدوني آخرون ، مرجع سابق ، ص 372.

مساعدتهم. اما أهل تونس ففتحوا أبواب مدينتهم للعلج علي ومعسكره. وكان دخلوهم إليها في نهاية العام 1569م.[1]

وهكذا يمكن القول أن تونس في عهد العلج علي، قد غدة مقاطعة تابعة للجزائر باستثناء بعض أطرافها الجنوبية التي كانت تابعة لباشوية طرابلس وحلق الوادي الذي تحصن فيه الإسبان.[2]

أما إعانة العلج علي بالأندلسيين في محنتهم فقد اتخذ شكل إمداد العسكري تلبية لطلب وفد من المورسكيين، حيث بعثوا ممثلا عنه يعرفوا ببرتال إلى العلج علي بالجزائر لإطلاعه على الوضع وتدبير نقل العتاد والسلاح والرجال الى الأندلس بإذن من السلطان، وبالفعل توجهت سفن الجزائرية محملة بالامتدادات لثوار الأندلس وأنزلت حمولتها بالشواطئ المرية 1568م، وفي العام التالي، أكتوبر 1569م، أرسل العلج علي لمجاهدي الأندلس 400 بندقية وكمية من الذخائر ومئات من المتطوعين من الإنكشارية ذوي الخبرة في القتال ليكونوا عوننا للمورسكيين في جهادهم.[3]

على أن المواقف الموالية للإسبان التي ميزت سياسة بعض السلاطين السعديين ووجود قواعد إسبانية على سواحل المغرب مثل تونس وهران والمرسى الكبير، مع اشتداد الضغط المسيحي بالمتوسط لم يسمح بتطوير هذه الجهود وتحويلها إلى حرب استرداد إسلامية، لاسيما بعد معركة ليبانتي في أكتوبر 1571م التي أضعفت القوة البحرية العثمانية وخلقت توازنا دوليا بالمتوسط.[4]

لقد كانت واقعة ليبانتي ملحمة بطولية أظهر فيها العلج علي بايلرباي الجزائر مهارة فائقة سمحت له بأن يصبح أشهر رجال البحر في السنوات التي أعقبتها،

---

[1]– عمار بن خروف ، نظرة على العلاقات السياسية ...، ص 85.

[2]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 86.

[3]– أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني وآخرون ، 373.

[4]– صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 94.

فالصدام البحري الذي تمكن فيه المسيحيون من إلحاق الهزيمة بالأسطول العثماني الذي فقد 224 سفينة وقتل من جنوده 25000 وأسر منهم 15000، لم يحل دون تجنب القضاء النهائي عليه سوى تمكن العلج علي من التخلص من الحصار المفروض عليه جهة النجاح الأيسر من الأسطول، و استيلاءه في مناوراته البحرية البارعة على 40 سفينة مسيحية من بينها سفينة البابا الشخصية.[1]

تمكن العلج علي الذي عين بعد واقعة ليبانتي قائدا للأسطول العثماني من إعادة بناء الأسطول في ظرف قصير الأمر الذي سمح للأسطول العثماني من التوجه لغزو الشواطئ الأوروبية. كذلك فقد أقنع السلطان العثماني سليم الثاني بضرورة ضم تونس إلى الدولة العثمانية من جديد، بعد أن كان انتزعها ضوان خوان دوتريش النمساوي ابن الإمبراطور شارلكان، من أيدي العثمانيين في حملته عليها سبتمبر 1577م لنصرة السلطان احمد الحفصي المخلوع والتي أدت المخلوع والتي أدت إلى انسحاب القائد رمضان الذي كان يحكمها منذ سنة 1569م إلى القيروان، وتنصيب محمد الحفصي الذي قبل بشروط مذلة.[2]

كانت الحملة ضخمة بقيادة العلج علي للأسطول، وسنان باشا للجيش دعي للمشاركة فيها أحمد أعراب باشا الجزائر وكذا مصطفى باشا طرابلس، وحيدر حاكم القيروان وغيرهم، ونجحت الحملة بعد جهد كبير في تحرير تونس تحريرا كاملا من القواعد الاسبانية في حلق الوادي، ومدينة تونس نفسها، ومن الحكم الصوري لمحمد الحفصي فيها، وذلك كله في صيف عام 1574م ولم ينجو أحد من أفراد الحاميات الإسبانية من القتل أو الأسر، أما محمد الحفصي فوقع في الأسر، وتوفي في اسطنبول في معتقله.[3]

---

[1]– بوحمشوش نعيمة ، البحرية الجزائرية خلال القرن 16 م ، جامعة الجزائر معهد التاريخ 1989 ، ص 66.

[2]– عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 85.

[3]– ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ص 25.

وبذلك أمكن إلحاق تونس نهائيا بالدولة العثمانية، ولم تقم بعد هذه المرة قائمة للحفصيين في تونس [1]

أما الجهود التي بذلها العلج علي للحد من عداء الملوك السعديين فتعود في أساسها إلى عهد سابق عندما كان مساعدا لصالح رايس قبل أن تتحول إلى خطة محددة عندما تولى أمر الجزائر وأصبح قائدا للبحرية العثمانية هدفها احتواء الدولة السعدية والتهديد لضم المغرب الأقصى لأملاك الدولة العثمانية وفي هذا المسعى عمل على تشجيع منافسي الملك السعدي عبد الله الغالب بالله 1574-1575م وهما أخواه عبد الملك وأبو العباس أحمد، وتوسط لعبد الملك لدى السلطان العثماني للحصول على مساندة عسكرية مكنته من حكم المغرب 1572. [2]

وبعد معركة وادي المخازن وتولى أبي العباس أحمد المنصور 1578م، أعتبر العلج علي استصغار المنصور لهدية السلطان وتجاهله للوفد العثماني عملا عدائيا يخول له حق التدخل لإعادة الاعتبار لهيبة الدولة العثمانية وإرغام المنصور على الوفاء فبالتزاماته وقد أقنع السلطان بذلك وجهز لغزو المغرب الأقصى حملة بحرية انتهى بها إلى الجزائر 1581م لكنه لم يواصل تقدمه لتقاعس الفرق الإنكشارية ولمسارعة أحمد المنصور السعدي إلى استرضاء السلطان العثماني[3].

وقد ذكر الوفراني في نزهة الحادي بإخبار ملوك القرن الحادي بقوله " وبعث (أي المنصور السعدي) رسالة إلى السلطان المذكور (السلطان العثماني) بهدية عظيمة ... وفي أثناء الطريق لقيهم وزير خاقان علوج المذكور أي (العلج علي) وهو قاصد المغرب... " وقد أدى هذا الضغط الذي مارسه العلج علي على المنصور إلى تحسين في العلاقات العثمانية السعدية بعد أن فضل المنصور سياسة المهادئة، وحتى يبرهن المنصور على حسن نيته في توطيد علاقته

[1]- عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 86.

[2]- أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني و آخرون ، مرجع سابق ، ص 376.

[3]- صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 100.

بالسلطان وينتفع من قوة الدولة العثمانية الحربية لم يتردد في استدعاء العلج علي إلى ميناء العرائش لحمايته من الإسبان 1584م بعد أن خرج العلج على رأس الأسطول لمهاجمة السواحل البحرية الأوروبية وانتهى في جولته البحرية إلى السواحل وبنزرت لغرض إبعاد الخطر المسيحي عنها 1583م.[1]

وهكذا فإن العلج علي الذي عين بايلربايا على الجزائر 1568م قد صرف أكثر اهتماماته إلى توسيع نفوذ الجزائر والدولة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط، فسعى إلى ضم تونس التي كان احتلالها دوما نصب أعين حكام الجزائر نظرا لأهميتها الحيوية بالنسبة لتأمين الحكم القائم في الجزائر، كذلك مساعدته لثورة الأندلس ، فكانت الجزائر تقد العون المادي والبشري غير المحدود لهؤلاء الثوار.[2] وعن عمر ناهز التسعين سنة قضاها في الجهاد والوقوف في وجه الأوروبية ، توفي العلج علي بايلرباي الجزائر في 27 جوان 1587م.[3]

[1]– أحمد توفيق المداني ، مرجع سابق ، ص 408.

[2]– عمار بن خروف ، العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب ... ، ص 107.

[3]– أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني وآخرون ، مرجع سابق ، ص 377.

الخـــــــــــــاتمة

خـــــــــــــاتمة

ممـا تقـدم نسـتنتج أنـه لا يمكـن فهـم التـاريخ الحـديث لـو تركنـا القـرن السـادس عشـر (16م) جانبـا، وبفهمهـا لهـذا القـرن يسـهل علينـا فهـم القـرون اللاحقـة بكـل وضـوح، فـالقرون (17م،18م،19م) هـي تتمـة لأحـداث القـرن السـادس عشـر (16م)ن إخترنـا **الجزائـر** لأنهـا تمثـل عاصـمة الجنـاح الغربـي للإمبراطوريـة العثمانيـة، ومعظـم قـادة الأسـطول الإسـلامي الـذي كانـت تمثلـه الخلافـة العثمانيـة حكمـوا الجزائـر فـي هـذا القرن السادس عشر (16م).

- بوجـود العثمـانيين بـالجزائر أشـتد الخطـر علـى عائلـة **الهابسـبورغ النمسـاوية** التـي كانـت تحـت سـلطتها الإمبراطوريـة الرومانيـة الجرمانيـة المقدسـة، ومقرهـا فيينـا، والتي كانت إسبانيا تابعة لها.

- عائلـة الهابسـبورغ فـي البدايـة تحـارب العثمـانيين فـي شـرق أوروبـا، وأصـبح حكمهـا مهـددا خاصـة بعـد فـتح العثمـانيين للقسـطنطينية 1453م، والكثـر مـن المـدن الأوروبية، ووصولهم حتى أبواب فيينا.

- إن تأسـيس الدولـة الجزائريـة الحديثـة ضـاعف الخطـر العثمـاني علـى عائلـة الهابسـبورغ فـالنفوذ العثمـاني الـذي شـمل الجزائـر، كـان يعنـي أن إسـبانيا أصـبحت كـذلك مهـددة، مـا جعـل هـذه العائلـة تحـارب علـى الجبهتـين، وهـذا مـا يفسـر عالميـة حملـة شـار لكـان علـى الجزائـر 1541م، التـي شـارك فيهـا كـل العـالم المسـيحي، والتـي كانـت أعظـم تسـلح فـي القـرن السـادس عشـر (16م)، يقابلـه فـي القـرن العشـرين (20م)، تسـلح قـوات الحلفـاء فـي تـدمير العـراق، هـذا الاصـطدام الـذي خرجـت منـه الجزائر منتصرة لتكتسب قوتها وهيبتها التي ستستمر على مر القرون اللاحقة.

- إن الصـراع الإسـلامي المسـيحي فـي غـرب المتوسـط بـين إسـبانيا الكاثوليكيـة والدولـة العثمانيـة ممثلـة بالجزائريـة ، نـتج عنـه تضـافر جهـود الإخـوة بربروسـة والمجاهـدين العثمـانيين والأندلسـيين والفقهـاء وشـيوخ الزوايـا ورؤسـاء العشـائر مـن

أهـالي الـبلاد الجزائريـة علـى طـرد الإسـبان مـن السـواحل نهائيـا فـي 1792م ، فـالمجتمع الجزائـري كـان قـد عـرف فـي القـرن السـادس عشـر (16م) تغييـر جـذريا ،فبالإضـافة إلـى البربـر والعـرب واليهـود ، ظهـرت هنـاك فئـات جديـدة كفئـة العثمـانيين وفئـة الأندلسـيين وفئـة الأعـلاج والكراغلـة، وكـل فئـة سـاهمت فـي بنـاء هـذه الدولـة، ولكـل فئـة تخصصـت فـي حرفـة فتـأثرت وأثـرت فـي المجتمـع الجزائـري، كمـا كانـت لهـم مسـاهمات جبـارة فـي مسـاعدة إخـوانهم الأندلسـيين وإنقـاذ الآلاف مـنهم فـي القـرن السـادس عشـر (16م) تحـت رايـة الدولـة الجزائريـة التـي احتضـنتهم ، لقـد نـتج عـن ذلـك وضـع كيـان سياسـي موحـد علـى الأرض الجزائريـة فـي القـرن السـادس عشـر (16م) عاصـمته مدينـة الجزائـر، قضـى حاكمهـا علـى حكـم الزيـانيين الـذين شـكلوا الغـرب الجزائـري، كمـا قضـوا علـى الحفصـيين الـذين شـكلوا الشـرق الجزائـري، هـذه الدولـة التـي أصـبح لهـا حـدود قـارة اسـتمرت إلـى يومنـا هـذا معتـرف بهـا، تمتـد منـذ القـرن السـادس عشـر (16م) مـن الحـدود التونسـية شـرقا الـى الحـدود المغربيـة غربـا ومجـال توسـع الجنـوب الصـحراوي، وقـد تـدعم هـذا الكيـان بفضـل حكـم مركـزي قـوي بـالجزائر، وبفضـل التنظيمـات والإجـراءات الإداريـة والتـي تمثلـت فـي إحـداث البياليـك والمقاطعـات، كمـا أصـبح لهـا أسـطول قـوي تحـت قيـادة بحـارة أقويـاء، فرضـت الجزائـر بفضـلهم فـي علاقاتهـا الدبلوماسـية خاصـة مـع الـدول الأوروبيـة التعامـل معهـا علـى أسـاس دولـة مسـتقلة قائمـة بـذاتها تحـت رايـة الدولـة العثمانيـة التـي كانـت تمثـل دار الإسـلام فـي مواجهـة دار الكفـر التـي تمثلهـا القـوى الأوروبيـة المعاديـة وهـذا مـا يعطينـا فكـرة أن العثمـانيين لـم يسـتولوا علـى الجزائـر بقـوة السـلاح، وإنمـا الجزائريـون هـم الـذين سـاعدوا عـروج وخيـر الـدين الـدين باعتبـارهم حكامـا مسـلمين للوقـوف فـي وجـه الإسـبان، ولـم يكـن عمـل هـؤلاء عـروج وخيـر الـدين صـادرا عـن طموحـات شخصـية وإنما كان نابعا من قرار وإقرار من الجزائريين.

– هـذا التطـور ومـا حملـه مـن تفـاعلات، ومـا عبـر عنـه مـن أمـال وأعـرب عنـه مـن مواقـف هـزت مشـاعر الشـعب الجزائـري وحركـت فيـه الـروح الوطنيـة، تـأثير حاسـم علـى بلـورة الشـعور الـوطني الجزائـري، هـذا الشـعور الـذي مهـدت الخطـوات السـابقة لـه مـن تحديـد مجـال جغرافـي واقـع بشـري وهـو المحطـة الأولـى وانتمـاء حضـاري وهـو المحطـة الثانيـة، وكيـان سياسـي لـه عاصـمة قـارة وحـدود معتـرف بهـا وهـو المحطـة الثالثـة، أدت هـذه المحطـات التـي سـبقت الإشـارة لهـا إلـى تعميـق الإحسـاس والشـعور بالانتمـاء الوطني وسمح بإرساء أسس الدولة الجزائرية الحديثة الذي كرسته المراحل اللاحقة.

ملاحق

البيبليو غرافيا

المصادر

1-اللغة العربية :

1- ابن خلدون عبد الرحمان ، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، ج6 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1982

2- القيرواني ابن أبي دينار ، **المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس** ، تحقيق محمد شمامو ، تونس 1967.

3- بن محمد الوزان الفاسي الحسن ، (ليون الإفريقي) ، **وصف إفريقيا** ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ج2 ،ط2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1983 .

4- مصدر مجهول ، **غزوات عروج وخير الدين** ، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر 1934 .

2-اللغة الفرنسية :

1. Haedo (f.Diego de) , **histoire des rois d Alger** , trad . Francoise de h , Degrammont , Alger 1881.

المراجع :

1- أبـو عمـران الشـيخ و ناصـر الـدين سـعيدوني ، وآخـرون ، **معجـم مشـاهير المغاربة** ، الملكية للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، بدون سنة.

2- العربـي إسـماعيل ، **دولـة بنـي حمـاد، ملـوك القلعـة و بجايـة** ، الشـركة الوطنيـة للنشر والتوزيع ، الجزائر 1980.

3- العربـي الزبيـري محمـد ، **مـدخل إلـى تـاريخ المغـرب العربـي** ، الشـركة الوطنيـة للنشر ، ط 2 ، الجزائر 1985.

4- العسـلي بسـام ، **خيـر الـدين بربـروس** ، الطبعـة الأولـى ، دار النفـائس سـوريا ، سنة 1980.

5- الصـلابي علـي محمـد ، **الدولـة العثمانيـة عوامـل النهـوض وأسـباب السـقوط** ، دار الإيمان للطبع و النشر و التوزيع ، الإسكندرية.

6- ألتـر عزيـز سـامح ، **الأتـراك العثمـانيون فـي إفريقيـا الشـمالية** ، ترجمـة محمـود علي – عامر دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية .

7- الهاشـمي عبـد المـنعم ، **الخلافـة العثمانيـة** ، دار ابـن حـزم للطباعـة و النشـر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2001 .

8- المـدني احمـد توفيـق ، حـرب الثلاثمائـة سـنة بـين الجزائـر و اسـبانيا ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984.

9- بـن أبـي زيـان بـن شـنهوا عبـد الحميـد ، **دخـول الأتـراك العثمـانيين إلـى الجزائـر** ، دار الطباعة للجيش الشعبية ، الجزائر .

10- بـن أبـي الضـياف احمـد ، **إتحـاف أهـل الزمـان بأخبـار ملـوك تـونس وعهـد الأمـان** ، ج 2 تحقيـق لجنـة مـن كتابـة الدولـة للشـؤون الثقافيـة والأخبـار الشـركة الوطنية و التوزيع ، تونس 1963.

11- بـن خـروف عمـار ، **العلاقـات السياسـية بـين الجزائـر و المغـرب** فـي القـرن العاشـر الهجـري / السـادس عشـر مـيلادي ، الجـزاء 1 ، دار الأمـل للطباعـة و النشـر و التوزيع ، الجزائر 2006.

12- بـن محمـد الجيلالـي عبـد الرحمـان ، **تـاريخ الجزائـر العـام** ، ج3 ، ديـوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر .

13- جلال يحي ، **تاريخ المغرب الكبير** ، دار النهضة العربية ، بيروت .

14- حليمـي عبـد القـادر ، **مدينـة الجزائـر نشـأتها وتطورهـا قبـل 1830** م المطبعـة العربية ، ط1 ، الجزائر 1972.

15- سـعيدوني ناصـر الـدين ، **مـن التـراث التـاريخي و الجغرافـي للمغـرب الإسـلامي** ، تـراجم مـؤرخين ورحالـة و جغـرافيين ، دار الغـرب الإسـلامي ، ط1 ، بـدون بلـد 1999

16- سـعيدوني ناصـر الـدين ، **الجزائـر منطلقـات وآفـاق** ، مقاربـات الواقـع الجزائـري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية ، دار الغرب الإسلامي.

17- أنـري جوليـان شـارل ، **تـاريخ إفريقيـا مـن الفـتح الإسـلامي إلـى سـنة 1830** ، تعريـب محمـد مزالـي و البشـير بـن سـلامة ، دار الونسـية للنشـر و الشـركة الوطنيـة للنشر و التوزيع 1978.

18- عبـاد صـالح ، الجزائـر خـلال الحكـم التركـي ، '1514-1830) ، دار هومـة للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر .

19- فـارس محمـد خيـر ، **دراسـات فـي تـاريخ شـمال إفريقيـا الحـديث** ، تـاريخ الجزائـر الحـديث مـن الفـتح العثمـاني إلـى الاحـتلال الفرنسـي ، مكتبـة دار الشـرق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة 1979.

20- قنـان جمـال ، **معاهـدات الجزائـر مـع فرنسـا** (1679 – 1830) ، المؤسسـة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1987 .

21- مبـارك الميلـي محمـد ، **تـاريخ الجزائـر القـديم والحـديث** ، ج2 ، مكتبـة النهضـة الجزائرية ، الجزائر 1964.

الدوريات و المجلات

1- التميمي عبد الجليل ، **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519** ، المجلة التاريخية المغربية العدد 6 ، تونس ، جويلية 1976.

2- التميمي عبد الجليل ، **رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني 1541** ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 3 ، تونس ، جانفي 1975 .

3- بن خروف عمار ، **نظرة على العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي** (مجلة الدراسات الإنسانية) العدد الأول ، الجزائر 2001.

4- بالحميسي مولاي ، **نهاية دولة بني زيان** ، الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية العدد 26، 1975.

5- بالحميسي مولاي ، **غارة شال الخامس على مدينة الجزائر (1541م-948هـ) بين المصادر الإسلامية و المصادر الغربية** ، مجلة تاريخ حضارة المغرب ، مصلحة الطباعة للمعهد التربوي الوطني ، العدد 6-7 الجزائر 1969.

القواميس :

1-دائرة المعارف الإسلامية **المجلد السابع** ، مادة جيجل .

قائمة الرسائل الجامعية :

1- بوحمشوش نعيمة ، **البحرية الجزائرية خلال القرن السادس عشر ميلادي** ، رسالة ماجيستر ، جامعة الجزائر معهد التاريخ 1989.

2- بيطام سامية ، محمد مرابط سهام ، **الحملات الإسبانية و الإيطالية على الجزائر خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر** ، رسالة ليسانس ، معهد التاريخ ، الجزائر 2004-2005 .

فهرس الموضوعات

الشـــكر

الإهداء

المقدمة

الفصل الأول

الأوضاع العامة في بلاد المغرب الإسلامي في بداية العصر الحديث 1492 م- 1512 م

1- ضعف الدويلات الثلاث 09

2- سقوط غرناطة 1492 م.....12

3- الهجرة الأندلسية 13

4- الجهاد البحري 15

5- الغزو الأيبيري.....17

الفصل الثاني

قدوم الإخوة بربروس إلى الجزائر 1512 م- 1519 م

1- بداية أعمال الإخوة بربروس في الجزائر.....22

2- استنجاد مدينة الجزائر بعروج ورد الحملة الاسبانية.....27

3- أعمال عروج في الغرب الجزائري ونهايتها.....32

4- خير الدين يخلف عروج على الجزائر.....34

5- إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية.....35

الفصل الثالث

بداية التأسيس 1519 م–1544 م

1– مؤامرة احمد بن القاضي 39
2– عودة خير الدين إلى الجزائر وجهوده فيها 41
3– دور الجزائر في السياسة الدولية 46
4– انتصار الجزائر على شار لكان 1541 م.....50
5 – توطيد حسن أغا لسلطة الدولة العثمانية 56

الفصل الرابع

استكمال التأسيس 1544 م–1587 م

1– جهود حسن بن خير الدين في ولايته الأولى 1544م–1551م.....61
2– ولاية صالح رايس 1552م –1556 م.....66
3– جهود حسن بن خير الدين في ولايته الثانية 1557م–1561م.....71
4– جهود حسن بن خير الدين في ولايته الثالثة 1562م–1567م.....73
5– جهود العلج علي 1568م–1587 م 75
الخاتمة 88
الملاحق.....91
قائمة المصادر و المراجع 96
فهرس الموضوعات.....97